القواعد والضوابط في معرفة السور القرآنية

م.م.أوميد محمد علي القرداغي
طالب دكتوراه في كلية التربية–جامعة كويه
أ.د. جمال محمد باجلان
كلية التربية–جامعة كويه

الملخص: دراسة تحليلية تهدف إلى توضيح الأهداف العامة والخاصة للسور القرآنية، وتحديد قواعد منهجية لاستكشاف هذه المقاصد. تبدأ الورقة البحثية بمقدمة تبرز أهمية هذا المجال، حيث تعد دراسة مقاصد القرآن الكريم مهمة للمتخصصين في الدراسات الإسلامية والتفسير، حيث تتعدى التفاصيل إلى الكليات والأهداف، وتساعد المفسرين على فهم أعمق للقرآن وتأدية الواجبات كما أرادها الشارع. الدراسة تساهم في تجديد التفسير وإثراء المحتوى العلمي في هذا المجال. تهدف الدراسة إلى إثبات أن لكل سورة قرآنية مقصداً خاصاً يتكامل مع المقاصد الكلية للقرآن الكريم، كما تسعى إلى توضيح الفرق بين المقاصد المختلفة وتحديد قواعد شاملة ومتسقة للكشف عنها.

تناقش الدراسة عدة محاور منها قاعدة الفواتح، التي تتناول أنواع الفواتح في السور ودلالاتها، وقاعدة الخواتم التي تشرح أنواع خواتم السور ودلالتها على المقاصد، كما تستعرض قاعدة التكرار وأهميته في النص القرآني. تشير النتائج إلى أهمية التفسير المقاصدي كأداة فعالة في تجديد مناهج علم التفسير، تُعد هذه الدراسة مساهمة قيمة في فهم أعمق وأشمل للقرآن الكريم، وتسعى إلى تعزيز الدراسات القرآنية عبر تبني منهجيات جديدة تركز على الغايات والأهداف الكامنة في السور.

الكلمات الافتتاحية: قواعد، مقاصد، سور.

المقدمة: تُعد دراسة مقاصد السور القرآنية من أهم الدراسات في علم التفسير، حيث تساهم في الكشف عن الأهداف العميقة والغايات السامية التي يهدف القرآن الكريم إلى تحقيقها في حياة المسلمين. علم التفسير بدأ بالاهتمام بالجزئيات والتفاصيل، لكنه تطور لاحقًا ليشمل البحث النظري الكلي، مما أضفى بُعدًا جديدًا لفهم النصوص القرآنية. ومع ذلك، تأخر هذا التطور في بعض القضايا القرآنية مقارنة بالتطور السريع في العلوم الفقهية.

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على قواعد وضوابط محددة لمعرفة مقاصد السور القرآنية، بهدف إظهار أن لكل سورة قرآنية مقصداً خاصاً يتناغم مع المقاصد الكلية للقرآن الكريم، كما تهدف إلى التفريق بين المصطلحات المتشابهة والمتداخلة مثل المقاصد العامة والخاصة، والأصلية والمتممة، مما يساعد في إزالة اللبس وزيادة الفهم الصحيح للنصوص القرآنية. إن تحديد هذه القواعد يساعد المفسرين والباحثين على توظيف مقاصد السور في تجديد مناهج علم التفسير، وإثراء الدراسات القرآنية بأبعاد جديدة، لذلك، تعد دراسة مقاصد السور القرآنية خطوة ضرورية نحو فهم أعمق للقرآن الكريم، يعزز التدبر والتفكر في آياته، ويحقق الغايات التي أرادها الله سبحانه وتعالى من إنزال هذا الكتاب العظيم.

مشكلة الدراسة: علم التفسير – كغيره من العلوم – بدأ مهتما بالجزئيات والأمور التطبيقية في القرآن، فمنها انبثق، وعليها نشأ، ثم تطور لاحقا إلى شيء من الاهتمام بالبحث النظري الكلي، غير أن هذا التطور التنظيري في علم التفسير قد تأخر كثيرا في عدد من القضايا القرآنية، مقارنة بالحركة الفقهية، التي ترقت بسرعة، فأنتجت لنا علم أصول الفقه، والقواعد الفقهية، ومقاصد الشريعة، في وقت مبكر، بينما نجد تأخرا واضحا في اهتمام المفسرين بقضايا كلية من قبيل مقاصد السور – فضلا عن مقاصد القرآن جملة، وعلم التناسب، ومناهج التفسير وقواعده، والتفسير الموضوعي.

اهداف الدراسة:

– إثبات أن للقرآن الكريم مقاصد كلية عامة موجودة في أغلب السور .

– اثبات أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مقصداً خاصا بها.

– التفريق بين المصطلحات المتشابكة في هذا الموضوع؛ لوجود التباس كبير في تحرير مفهوم المقاصد، ومضمونها، والفرق بين المقاصد العامة والخاصة، والأصلية والمتممة، والكلية والجزئية، والرئيسة والثانوية، والكبرى والصغرى، والفرق بينها وبين مقاصد التشريع وغيرها.

– محاولة تقعيد مسالك الكشف عن مقاصد السور وفق قواعد محددة تكون شاملة ومطردة.

– التعرف على أهم كتب التفسير التي اهتمت بموضوع مقاصد السور القرآنية .

– الاهتمام بعلم مقاصد القرآن الكريم عامة، ومقاصد السور خاصة.

– توظيف مقاصد السور القرآنية في تجديد مناهج علم التفسير الحديثة.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: أسباب ذاتية:

– لعل من أهم الأسباب التي قادتني نحو اختيار موضوع المقاصد هي الإجابة على التساؤل الذي كُرّس هذا البحث للإجابة عليه، وهو هل أن لكل سورة قرآنية مقصداً خاصاً بها، وإذا كان لها مقصد خاص فلماذا هذا الانكفاء عبر قرون عن حل مثل هذا مسألة جذرية في فهم السور القرآنية.

– أن أكرس وقت دراستي في بحث معمق مع القرآن، وأن أنشغل به عن سواه.

– خدمة القرآن الكريم من أقدس الخدمات التي تعلق عمل الانسان الفاني بكلام الله الأزلي.

ثانياً: أسباب موضوعية:

– إيجاد طريقة جديدة لتدبر القرآن الكريم من ناحية ايجاد مقصده، ومن ثم غور معانيه الواحدة تلو الأخرى.

– إيجاد طريقة لمعرفة الروابط بين آي السورة الواحدة التي لا تكاد ترى إلا بوجود رابط موضوعي أومقاصدي.

– حث المسلمين سيما الباحثين منهم في موضوعات التفسير على التركيز على مقصد السورة وعدم الانجرار إلى موضوعات ثانوية يحتملها النص ولا يقصدها.

– تحقيق التدبر الذي أمرنا الله تعالى به: فالله تعالى أمرنا بالتدبر؛ والنظر؛ والتفكر؛ والتعقل؛ والتفقه في دلالات آياته، والسعي لاستنباط حكمه وأسراره، بما يوصل لعمق المعاني ومراميها البعيدة، ويحقق تلاوته حق التلاوة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

أهمية الدراسة:تعد دراسة مقاصد القرآن الكريم من الأمور المهمة، للمتخصص بالدراسات الإسلامية عموما، وللمتخصص في التفسير على الخصوص؛ حيث إن علم المقاصد لا يقف عند التفاصيل والجزئيات، بل يتعداها إلى الكليات والأهداف، مستنتجا منها أحكاما تخص كل جوانب الحياة، فهو يبرز الغاية بالمقاصد، والغاية التي خلق الله من أجلها الخلق ومدى تحقيقها؛ لذا فموضوع مقاصد السور القرآنية من أكثر المواضيع التي يركز عليها الباحثون في مجالات الدراسات الشرعية في الوقت الحاضر كالفقه والتفسير والأصول والقانون، ولكن إبراز أثر مقاصد السور القرآنية في تجديد التفسير يعد بحثا باكراً لم يتطرق إليه أحد من الباحثين بشكل مستقل (على حد علم الباحث)، فالبحث فيه يعد بمثابة سبك مفتاح جديد لدراسات قرآنية مستفيضة وجديدة تقوم على أسس استنتاج المقاصد من ثنايا السور ومن ثم الحاق الأحكام والمعاني بمرادها ونتائجها.

أن معرفة المقاصد والغايات من السور القرآنية يساعد المفسرين على فهم القرآن الكريم والمراد منه، وبالتالي تأدية الواجبات كما أرادها الشارع، حيث أن ذلك يسهم في الدعوة للقراءة التدبرية لكتاب الله عز وجل، وتحقيق صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، كما وتنبع أهمية هذه الدراسة من قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع وعدم توجه الباحثين والمفسرين لهذا القطاع بشكل موسع، ولا ننسى أهميتها في إثراء المحتوى العلمي المتعلق بذات الموضوع.

دراسات سابقة:

1- لعل من أوائل الدراسات التي اهتمت بموضوع مقاصد السور القرآنية كتاب (مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ) للإمام الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (المتوفى 885 هـ) والذي نشرته: مكتبة المعارف – الرياض عام 1408 هـ - 1987 م في ثلاثة اجزاء، ووقد واصلَ البقاعيُّ –رحمه الله– سبر مقاصد السور وتجليتها في كتابه اللاحق، المسمى نظم الدررفي تناسب الآيات والسور، والذي وصف فيه كتاب المصاعد بأنه كالمدخل لكتاب نظم الدرر.

2- دراسة العجمي، شافي سلطان (2009) [1]: بعنوان "مقاصد السور القرآنية: عرض ودراسة " هدفت هذه الدراسة إلى تأصيل نشأة علم مقاصد السور القرآنية، وتقديم الأدلة العقلية والنقلية على حجية المقاصد وطرق الكشف عنها. تناولت الدراسة تعريف مقاصد السور وتاريخها، أدلة المقاصد وطرق الكشف عنها، وأقسام مقاصد السور. وتوصلت الدراسة إلى أن مقاصد السور تدور حول ثلاثة محاور الأول الحديث عن الألوهية والبعث، والثاني عن الوحي والرسول، والثالث عن العبادات والمعاملات. وأوصت الدراسة بإبراز المقاصد القرآنية والاستدلال عليها عقلًا ونقلًا، ومراعاة تنزل القرآن وتدرجه في تشريع المقاصد والربط بين ذلك والتدرج في تطبيق الشريعة.

3- دراسة أبو زيد، وصفي عاشور (2013) [2]: بعنوان" التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجا" هدفت هذه الدراسة إلى بيان التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن الكريم، وذكر التطبيقات العملية لذلك. تناولت الدراسة معنى التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، وأنواعه وعلاقته بالتفسير، كما تطرقت لمقومات ومقاصد معنى التفسير المقاصدي للقرآن الكريم. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم له من أهمية في فهم القرآن واستنزال هداياته في واقع الأفراد والأمة جميعاً.

منهجية الدراسة: تم اتباع المنهج الاستقرائي الاستدلالي، والمنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع وتفسيرها، بالإضافة إلى الاطلاع على الوثائق والمقالات والندوات الحديثة الخاصة بهذا المجال.

هيكلية الدراسة: يشمل هيكلية البحث سبعة محاور مع الخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: قاعدة الفواتح

المبحث الثاني: قاعدة الخواتم

المبحث الثالث: قاعدة التكرار

المبحث الرابع: قاعدة التناسب

المبحث الخامس: قاعدة مناسبة النزول (سبب النزول)

المبحث السادس: قاعدة الزمان والمكان

المبحث السابع: قاعدة اسم السورة

المبحث الأول: قاعدة فواتح السور القرآنية:

المطلب الأول: معنى فواتح السور:

"**فواتح السور**": مركب إضافي مكون من كلمتين، الأولى:" فواتح"، والثانية: "سور"، والمقام هنا يقتضي أن نعرف كل كلمة منفردة ثم نعقب على ذلك بتعريفهما معا مركبتين تركيبا إضافيًّا.

– **الفتح في اللغة:** الفتح ضد الإغلاق، وفاتحة كل شيء: مبدؤه الَّذِي يفْتَتح بِهِ مَا بعده، يقال فتحت الباب وغيره فتحًا، وفواتح القرآن الكريم أوائل السور، وكل ما بدأت به فقد استفتحته، وبه سميت الحمد فاتحة الكتاب، سميت بذلك؛ لأنه يفتتح بها القراءة في الصلاة[3].

قال الزبيدي: «فواتح القرآن، هي أوائل السور، وقرأ فاتحة السورة وخاتمتها، أي أولها وآخرها» [4].

– **السور في اللغة:** السورة المنزلة، والجمع سُوَرٌ وسُوْرٌ، والسورة من البناء: ما حسن وطال، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى والجمع سُوَر بفتح الواو [5].

السورة اصطلاحًا: تعددت تعريفات العلماء لمعنى السورة القرآنية، ومن هذه التعريفات ما يلي:

السورة هي: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها معروفة بالسماع [6].

قال الجعبري: حد السورة قرآن يشتمل على آيٍ ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات [7].

وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفًا، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي [8].

وقيل: طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع [9].

مما سبق نستطيع أن نعرف "فواتح السور" بأنها: هي ما بدأت واستهلت به كل سورة من سور القرآن الكريم سواء كان حرفا أو كلمة أو جملة.

المطلب الثاني: أنواع فواتح السور: إن الناظر في كتاب الله تعالى المتأمل في فواتح سوره يرى أنها تنوعت وتعدَّدت، فجاءت متعددة الأشكال مختلفة في الأساليب، فمن أجل مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم أنه لم يلتزم أسلوبًا واحدًا أو شكلا معينا، وإنما اختلفت فواتحه وتعددت، فتكاد تكون لكل سورة لهجة خاصة، فإنَّ بعضها بُنيَ على فواصل وبعضها ليس كذلك. وكذلك فواتحها منها ما افتتح بالاحتفال كالحمد، ويا أيها الذين آمنوا، والم ذلك الكتاب، وهي قريب مما نعبِّر عنه في صناعة الإنشاء بالمقدمات. ومنها ما افتتح بالهجوم على الغرض من أول الأمر نحو: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم، وبراءة من الله ورسوله [10]، فمن كمال البلاغة في فواتح سور القرآن الكريم أنها جاءت على ألوان شتّى من أساليب العربية والبيان، وكلّ لون قد حوى من محسنات بلاغية تعبيرية بديعة ما يدهش الذوّاقة من أهل البيان، وذلك لأنّ من

أساليب البلاغة حسن الابتداء، وهو أوّل ما يقرع السمع، فإن كان محرّرا، لافتا، أقبل السامع على الكلام ووعاه، وأخذ به حتى النهاية، وإلّا أعرض عنه، وأهمله.

وقد أبدع القرآن الكريم في تحرير البداية لسوره المحكمة المعجزة، حتى لا يجد القارئ أو السامع سبيلا للغيبة عنه، أو الصدود، إلّا من جحد، وعاند ورام الاستكبار والتعالي [11].

وقد جاءت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالثناء على الله، وحروف الهجاء والنداء، والقسم وغير ذلك، وقد حصر العلامة الزركشي فواتح السور في عشرة أنواع، وتبعه الإمام السيوطي في ذلك، وهذه العشرة هي:

الأول: الاستفتاح بالثناء والمدح والتنزيه: وقد جاء استفتاحه سبحانه وتعالى بالثناء على نفسه في أربع عشرة سورة، نصفها لثبوت صفات المدح والكمال، ونصفها لتنزيهه تعالى عن النقائص، فثنائه تعالى على نفسه، قسمين:

القسم الأول: الاستفتاح بالمدح: ومن ذلك ما افتتح بالتحميد: ﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ﴾، وهي خمس سور: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر. والمفتتح بـ ﴿تَبَارَكَ﴾، وهما سورتان: الفرقان والملك.

القسم الثاني: أن يستفتح السورة بتنزيه نفسه سبحانه وتعالى عن النقص، نحو قوله تعالى: □ □ □ □ □ [الإسراء: 1]. وقوله تعالى: □□□□□ [الأعلى: 1]. وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □□ □ في ثلاث سور: الحديد والحشر والصف. وقوله تعالى: □ □ وذلك في سورتين: الجمعة والتغابن [12].

قال الزركشي: «وهو سرٌّ عظيمٌ من أسرار الألوهية؛ قال صاحب العجائب: سبح لله، هذه كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل؛ لأنَّه الأصل، ثم الماضي [سبح لله] في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم المستقبل في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعابًا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع المصدر والماضي والمستقبل والأمر المخاطب فهذه أعجوبة وبرهان» [13].

الثاني: الاستفتاح بالحروف المقطعة: وهي حروفٌ عربية استهل الله بها سبحانه تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، نحو: (الم)، (المص)، (المر)، (كهيعص)، (طه)، (طس)، (طسم)، (حم)، (حم عسق)، (ق)، (ن)، وذلك في تسع وعشرين سورة[14].

وافتتاح بعض سور القرآن الكريم بالحروف الهجائية المقطعة خصيصة من خصائص القرآن، وميزة انفرد بها عن سائر الكتب، يقول زكي مبارك: «إنَّ القرآن الكريم يتفرَّد بعددٍ من الصفات؛ منها: الابتداء بألفاظ غير مفهومة، مثل: الم، حم، طسم، الر، ص، ن، ق، إلى آخر تلك الفواتح التي اختلف في تأويلها المفسرون، والتي لم يهتد أحد إلى المراد منها بالتحديد، وهذا النمط من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية» [15].

وقد اختلف علماء التفسير في المراد منها اختلافًا كبيرًا، حتى ذكر الإمام الزركشي عشرين وجهًا في تفسيرها [16].

الثالث: الاستفتاح بالنداء: وهو على قسمين، نداء للأمة، ونداء للنبي – صلى الله عليه وسلم– (17).

القسم الأول: السور التي افتتحت بنداء الأمة: وهي خمس سور: النساء، □ ، والمائدة، □ ، والحج، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، والحجرات، □ والممتحنة □ .

القسم الثاني: السور التي افتتحت بنداء النبي – صلى الله عليه وسلم – : وهي خمس سور أيضًا، الأحزاب، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ والطلاق، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ والتحريم، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، والمزمل، □ □ □ ، والمدثر ﴿ □ □ ﴾[18].

الرابع : الاستفتاح بالجمل الخبرية: وذلك في ثلاثٍ وعشرين سورة: الأنفال، □ □ □ □ □ ، والتوبة، □ □ □ □ ، والنحل، □ □ □ □ □ ، والأنبياء، □ □ □ □ ، والمؤمنون، □ □ □ □ ، والنور، □ □ □ □ ، والزمر، □ □ □ □ □ □ □ □ ومحمد، □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، والفتح، □ □ □ □ □ □ □ ، والقمر، □ □ □ □ □ ، والرحمن، □ □ □ □ □ ، والمجادلة، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، والحاقة، □ □ □ □ □ ، والمعارج، □ □ □ □ □ ، ونوح، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، والقيامة، □ □ □ □ □ ، والبلد، □ □ □ □ □ ، وعبس، □ □ □ ، والقدر، □ □ □ □ □ □ ، والبينة، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ، والقارعة، □ □ □ □ □ ، والتكاثر، □ □ □ ، والكوثر، ﴿ □ □ □ □ □ ﴾[19]

الخامس: الاستفتاح بالقسم: وذلك في خمس عشرة سورة: الصافات، □ □ □ ، والذاريات، □ □ □ ، والطور □ □ □ □ □ ، والنجم □ □ □ □ ، والمرسلات، □ □ □ ، والنازعات، □ □ □ ، والبروج، □ □ □ □ ، والطارق، □ □ □ ، والفجر، □ □ ، والشمس، □ □ □ ، والليل، □ □ ، والضحى، □ □ ، والتين، □ □ □ ، والعاديات، □ □ □ ، والعصر، ﴿ □ □ ﴾[20].

السادس: الاستفتاح بالشرط: وذلك في سبع سور: الواقعة، □ □ □ □ ، والمنافقون، □ □ □ □ ، والتكوير، □ □ □ □ ، والانفطار، □ □ □ □ ، والانشقاق، □ □ □ □ ، والزلزلة، □ □ □ □ □ □ ، والنصر،﴿ □ □ □ ﴾[21].

السابع: الاستفتاح بالأمر: وذلك في ست سور: الجن، □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ، والعلق، □□□□□□ ، والكافرون، □□□□□ ، والإخلاص، □□□□□□ ، والفلق، □□□□□ ، والناس ﴿□□□□□□﴾ [22].

الثامن: الاستفتاح بالاستفهام: وذلك في ست سور: الإنسان، □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ، والنبأ، □□□ ، والغاشية، □□□□□□ ، والشرح، □□□□□□ ، والفيل، □□□□□□□□□ ، والماعون، ﴿□□□□□□﴾ [23].

التاسع: الاستفتاح بالدعاء: وذلك في ثلاث سور: المطففين، □□□ ، والهمزة، □□□□□ ، والمسد، ﴿□□□□□□﴾ [24].

العاشر: الاستفتاح بالتعليل: وذلك في موضع واحد في سورة قريش: □□□﴾ [25].

المطلب الثالث: دلالة فواتح السور على المقاصد:

إن فواتح السور هي أحد المفاتيح التي يتوصل بها إلى مقاصد تلك السورة، فلاشك أن القرآن كتاب معجز تحدى الله به أرباب الفصاحة والبيان، ومن أوجه إعجاز القرآن الكريم افتتاح سوره بما يدل على مقاصد تلك السورة، وهو ما يعرف عند البلاغيين بـ "براعة الاستهلال"، وهو مناسبة مطلع السورة للمقصد الذى سيقت له، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الباب حد الكمال، وقد أشار إلى ذلك الإمام السيوطي في الإتقان، وضرب أنموذجًا على ذلك من سورة الفاتحة؛ إذ هي مشتملة على جميع مقاصد القرآن الكريم[26].

ومن هنا قال علماء اللغة: من البلاغة حسن الابتداء؛ وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررًا أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى في بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظمًا وسبكًا، وأصحه معنى، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم، والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب. ومن هنا فقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء، وغير ذلك [27].

فكل سورة من سور القرآن الكريم قد افتتحت بما يدل على موضوعها، وما حوته من أحكام ومقاصد، وسواء في ذلك افتتحت بالتحميد أو التسبيح أو الدعاء أو الخبر، إلى غير ذلك من الفواتح العشرة، فكل افتتاح في أي سورة من سور القرآن دال على مقصودها، ومحورها، سواء افتتحت بالتسبيح، أو التحميد، أو أي نوع من أنواع الثناء على المولى عز وجل، ويدخل في ذلك حتى السور المفتتحة بما يسمى: "الحروف المقطعة"، وقد انتبه إلى هذه الخصيصة من أوائل المفسرين الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله حيث يقول في صدر سورة البقرة: "فكان معنى الكلام –في تأويل قائل القول الأول– أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوَصْف نفسه بأنه العالِمُ الذي لا يخفى عليه شيء، وَجعل ذلك لعباده منهجا يسلكونه في مُفتتح خطبهم، ورسائلهم، ومهمِّ أمورهم، وابتلاء منه لهم، ليستوجبوا به عظيمَ الثواب في دار الجزاء، كما افتتح ب الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ، والْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ (الأنعام: 1) وما أشبه ذلك من السُّور التي جعل مَفاتحها الحمد لنفسه، وكما جعل مفاتحَ بَعضها تعظيم نَفسه وإجلالها بالتسبيح، كما قال جل ثناؤه: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا (الإسراء: 1)، وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن، التي جعل مفاتحَ بعضها تحميدَ نفسه، ومفاتحَ بعضها تمجيدَها، ومفاتح بعضها تعظيمَها وتنزيها، فكذلك جَعل مفاتحَ السور الأخَر التي أوائلها بعضُ حروف المعجم، مدائحَ نفسه، أحيانًا بالعلم، وأحيانًا بالعدل والإنصاف، وأحيانًا بالإفضال والإحسان، بإيجاز واختصار، ثم اقتصاصَ الأمور بعدَ ذلك"[28] .وإذا كان الإمام محمد بن جرير الطبري قد لاحظ هذه الدلالة في مطالع السور المفتتحة بالثناء على الله أو تنزيهه عما لا يليق به مثل السور المفتتحة "بالمسبحات" فكذا يقال الأمر في سائر السور، المفتتحة ببقية أنواع التصدير العشرة، والتي هي: الثناء، وحروف التهجي، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل، فتتبع جميع السور المفتتحة بهذه الأنواع تلحظ دلالتها على مقصود السورة واضحا أحيانا، وأحيانا أخرى يحتاج إلى نوع من التدبر والتأمل، والتفكر في استخراج تلك الدلالة.

من الأمثلة على ذلك ما قاله الامام البقاعي في بيان مقصد سورة الرعد بقوله "ومقصودها: وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه، مع أن له صوتاً وصيتاً، وإرغاباً وإرهاباً، يهدي بالفعل. وتراه لا يتأثر، بل يكون سبباً للضلال والعمى. وأنسب ما فيها لهذا المقصد: الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير، والبارز والمستتر، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا. وإذا نزل المطر: فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة، وتارة يضر بالإغراق، أو الصواعق، أو البرد، وغيرها" [29]. فمن أعظم مقاصد هذه السّورة إقامة الأدلّة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السّموات والأرض، والشّمس والقمر، والليل والنّهار، والجبال والأنهار، والزّروع والثّمار المختلفة الطّعوم والرّوائح والألوان، وأن الله تعالى منفرد بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنّفع والضّر، ونجد هذا واضحا في الآيات الأولى في السورة الكريمة □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □
□ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ (سورة الرعد). فمن الملاحظ أن هذه الآيات قد لخصت مقاصد هذه السورة بشكل ملحوظ.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا سورة يونس حيث نجد أن من مقاصد السورة أنها تركز على الموعظة والدعوة بالترغيب والترهيب والتذكير بالآخرة ولذلك افتتحت بالتذكير بآيات الله تعالى وحال المكذبين بها ، وتخلل ذلك عرض للطف الله تعالى بأوليائه ، وعباده المؤمنين والتائبين ، وتضمنت الموعظة بالقرآن كما قال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ [يونس : 57] ، ولذلك تضمنت قصة قوم يونس الذين آمنوا بعد ما دعاهم يونس

وهددهم بالعذاب فكشف الله عنهم العذاب ، فهذه القصة هي النموذج الإيجابي للغرض الذي تركز عليه السورة[30].

فالناظر في القرآن الكريم، والمتأمل في سوره وأساليبه، يلحظ دلالة فاتحة السورة على مقصودها، وما حوته من آيات، وأحيانًا تكون تلك الدلالة واضحة، وأحيانًا تحتاج إلى مزيد من الفكر والتأمل وكثرة النظر للوقوف على تلك الدلالة.

وكما أن لفواتح السور عموماً دلالة على مقصد السورة، كذلك نجد من العلماء من أشار أن للحروف المقطعة هيمنة واضحة على جو السورة العام، من خلال تكرار الحرف الذي ابتدأت به السورة من الأحرف المقطعة، وخير مثال على ذلك ما ذكره الإمام ابن القيم : " وَتَأمل السُّور الَّتِي اجْتمعت على الْحُرُوف المفردة كَيفَ تَجِد السُّورَة مَبْنِيَّة على كلمة ذَلِك الْحَرْف فَمن ذَلِك (ق) وَالسورَة مَبْنِيَّة على الْكَلِمَات القافية من ذكر الْقُرْآن وَذكر الْخلق وتكرر القَوْل مُرَاجعَته مرَارًا والقرب من ابْن آدم وتلقي الْملكَيْنِ قَول العَبْد وَذكر الرَّقِيب وَذكر السَّائِق والقرين وَذكر الْقبل مرَّتَيْنِ وتشقق الارض وإلقاء الرواسِي فِيهَا وبسوق النّخل والرزق وَذكر الْقَوْم وَحُقُوق الْوَعيد وَلَو لم يكن الا تكْرَار القَوْل والمحاورة وسر آخر وَهُوَ أَن كل مَعَاني هَذِه السُّورَة مُنَاسبَة لما فِي حرف الْقَاف من الشدَّة والجهر والعلو والانفتاح وَإِذا أردْت زِيَادَة ايضاح فَتَأمل مَا اشْتَمَلت عَلَيْهِ سُورَة (ص) من الْخُصُومَات المتعددة فأولها خُصُومَة الْكفَّار مَعَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقَوْلهمْ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ (ص 5) الى آخر كَلَامهم ثمَّ اختصام الْخَصْمَيْنِ عِنْد دَاوُد ثمَّ تخاصم أهل النَّار ثمَّ اختصام الملا الاعلى فِي الْعلم وَهُوَ الدَّرَجَات وَالْكَفَّارَات ثمَّ مخاصمة إِبْلِيس واعتراضه على ربه فِي أمره بِالسُّجُود لآدَم ثمَّ خصامه ثَانِيًا فِي شَأْن بنيه وحلفه ليغوينهم أَجْمَعِينَ الا أهل الاخلاص مِنْهُم

فَلْيتَأَمَّل اللبيب الفطن هَل يَلِيق بِهَذِهِ السُّورَة غير (ص) وَسورَة (ق) غير حرفها وَهَذِه قَطْرَة من بعض أسرار هَذِه الْحُرُوف وَالله سُبْحَانَهُ اعْلَم "[31]

المبحث الثاني: قاعدة الخواتم (خواتم السور القرآنية):

المطلب الأول: مفهوم خواتم السور: الخاتمة: عاقبة كلّ شيء وآخِرته ونهايته، وعكسه: بدايته، وخاتمة السورة: نهايتها، خاتمة المطاف: النهاية، وما ينجلي عنه الأمر [(32)].

وخواتم السور: هي ما تختم به سور القرآن، وآخر ما يقرع الأسماع مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد؛ وهي أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد ووعيد إلى غير ذلك [(33)].

إذا كانت فواتح السور تأتي متضمنة براعة استهلال معجزة دالة على المقصود، فكذلك الخاتمة تأتي بحسن انتهاء معجز مجملة ما حوته السورة القرآنية من مقاصد، فخواتم السور القرآنية تأتي متضمنة جملة من المعاني البديعة، مع إيذان السامع –أو القارئ– بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه في النفوس تشوُّف إلى

التمام [34]. يقول ابن أبي الإصبع: «وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال؛ لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ومواعد، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوُّفٍ إلى ما يقال» [35].

المطلب الثاني: أنواع خواتم السور في القرآن الكريم:

المتأمل في خواتم سور القرآن يرى أنها تنوعت وتعدَّدت، فجاءت متعددة الأشكال مختلفة في الأساليب بما يخدم موضوع كل سورة ويتناسب مع محتواها، وهذا من أجل مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم حيث أنه لم يلتزم أسلوبًا واحدًا أو شكلا معينا في ختام السور، وفيما يلي بيان بأنواع خواتم السور في القرآن، وهي على النحو التالي:

الأول: الختام بالدعاء والثناء: وذلك كما في فاتحة الكتاب: □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الفاتحة:6، 7]. إذ المطلوب الأعلى في سورة الفاتحة هو الإيمان الخالص، المحفوظ من المعاصي والآثام المسببة لغضب الله تعالى، ففصل الله تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿□ □﴾، والمراد بالمنعم عليهم: هم المؤمنين؛ إذ الإيمان مستتبع لجميع النعم؛ ثم وصفهم المولى بقوله: ﴿ ﴾، فجمعوا بين نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله عز وجل [36].

وكما في ختام سورة البقرة: □□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ [البقرة: 286]. وكما في ختام سورة الأنبياء، والمؤمنون، ونوح... إلى غير ذلك من سور القرآن الكريم.

الثاني: الختام بالثناء على الله تعالى: كما في سورة الإسراء: □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ [الإسراء: 111].

وكما في سورة النمل: □□ □□□□□□□□□□□□ [النمل: 93]. وفي سورة الصافات: □□□□ □□□□□□□□□□□□□ [الصافات: 180−182]. وفي سورة الزمر: □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ [الزمر: 75].

الثالث: الختام بالوصايا: كما في سورة آل عمران: □□□□□□□□□□□ [آل عمران: 200]. وفي ختام سورة التوبة: □□□□□□□□□□□□□□□□□ [التوبة: 129]. وفي سورة الروم: □□□□□□□□□□□□ [الروم: 60]. وفي الزخرف: □□□□□□□□□ [الزخرف:89]. وكما في ختام سورة الممتحنة: □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ [الممتحنة: 13] [37].

الرابع: الختام بالتعظيم: كالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به سورة المائدة: □□□□□□□□□□□ [المائدة: 120]. وفي ختام سورة النور: □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

□ □ □ [النور: 64]. وفي ختام الشورى: ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الشورى: 53]. وفي ختام سورة الرحمن: □ □ □ □ □ □ □ [الرحمن: 78] (38).

الخامس: الاختتام بالوعد والوعيد: وذلك كما في سورة الأنعام □ [الأنعام: 165]. وفي ختام طه: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [طه: 135]. وفي ختام العنكبوت: ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ □ [العنكبوت: 68-69]. وفي الأحزاب: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الأحزاب: 73]. وفي ختام الإنسان: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الإنسان: 31] (39).

السادس: الاختتام بتسلية النبي صلى الله عليه وسلم: كما في ختام سورة يونس عليه السلام: □ [يونس: 107]. وفي ختام سورة مريم □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [مريم: 98]. وفي ختام سورة الأحقاف: □ [الأحقاف: 35]. وفي سورة الجمعة: □ [الجمعة: 11] (40).

السابع: الاختتام بمدح القرآن الكريم: ومن ذلك ما جاء في ختام سورة يوسف عليه السلام: ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ □ [يوسف:111]. وفي ختام سورة إبراهيم عليه السلام: □ [إبراهيم: 52]. وفي ختام سورة ص: □ □ □ □ □ [سورة ص: 87-88]. وفي ختام سورة البروج: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [البروج: 21-22] (41).

الثامن: الاختتام ببيان بعض الأحكام: وذلك كما في ختام سورة النساء: □ [النساء: 176].

المطلب الثالث: دلالة خواتم السور على مقاصدها: خاتمة السورة ملخص وبيان وتأكيد لما اشتملت عليه من أوامر ونواهي وأحكام، ومن كمال البلاغة أن تختم السورة بذلك ، وهو دأب السلاطين حين يختمون رسائلهم وفرامينهم بجوامع الكلم ونوادر الوصايا على التمسك بالأوامر المذكورة، والتهديد لكل من يخالفها يخرج عنها، نجد أن القرآن الكريم كان له السبق في ذلك، حيث ختم أواخر السور بجوامع الكلم ومنابع الحكم، والتأكيد البليغ والتهديد العظيم(42)، فنجد الكلام في كثير من سور القرآن ينتقل من معنى إلى آخر، ومنه إلى آخر، ثم يعود إلى ما بدأ منه، ولم يكن هذا العود على البدء إلا للدلالة على وجود مقصود رئيس يربط بين الآيات، وهذا ما يسمى بعطف البدء على الختام43.

وقد اشار بعض العلماء الى علاقة خاتمة السورة بموضوعها ومنهم:

– أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) حيث قال: "تتبعت أوائل السور المطولة، فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء... وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذا في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلا، ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا"[44].

–يقول الحافظ السيوطي: «وقد قدمنا غير مرة أنَّ سور القرآن تستفتح بما يشير إلى المقصود، ثم منه إلى غيره بأدنى ملائمة... ثم يشار في آخر السورة إلى مثل ما افتتح به»[45]

– الإمام البقاعي حيث قال: "فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع[46]...".

– الشيخ عبد الحميد الفراهي47 : "إني رأيت في ترتيب كلام الله – وله الحمد على ما أراني – أن الكلام ينجر من أمر إلى أمر، وكله جدير بأن يكون مقصودا، فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة[48].

ولذلك اهتم العلماء بتناسب فواتح السور وخواتمها، حتى إن السيوطي (ت 911هـ) ألف في ذلك كتابا سماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"[49].

– محمد عبد الله دراز (ت 1377هـ)50 فقال: «ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا محددا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة51.

فكما أنَّ فواتح السور تشير إلى المقصود العام للسورة، فكذلك الخواتم اشتملت على ما يلخص ويجمل المقاصد العامة للسورة، فالخاتمة كالتلخيص لما عرض من مقاطع السورة.

إننا إذا حينما نقف مع هذه الخواتم بشيء من التدبر نجد أنها تدل بشكل واضح لا لبس فيه إلى المقصود الأعظم في السورة، فالدعاء في خاتمة البقرة بما يحمل من معاني جمة، ومركزة، كلها طلب للإعانة والقدرة على امتثال التكاليف العقدية والشرعية والأخلاقية الواردة في ثنايا السورة ، وهكذا في نهاية آل عمران، التي جاءت في صورة وصايا آمرة بالصبر والمصابرة، والمرابطة، وتقوى الله تعالى، وكذا ختام النساء بذكر الفرائض التي ما كانت سورة النساء في مقصودها إلا إعرابا عن واقع التشريع تجاه قضية من أهم القضايا التي كانت تعاني منها المرأة في الجاهلية، وهكذا كلما دقق القارئ النظر في سائر خواتيم سور القرآن الكريم نجدها تجري على هذا المنوال، ولا تخرج عن هذا الضرب، وإنما الأمر يحتاج إلى تدقيق النظر، والتأمل والتدبر في معاني الكتاب، واعتباره وحدة متكاملة متناسقة، مترابطة في أجزائها، ومحكمة في نسجها، وما من

سبيل لفهم القرآن وإدراك مقاصده إلا من خلال الدخول من هذه الأبواب المفتاحية التي تعد فيها المطالع والمقاطع من أبرز المداخل الدالة على إدراك مقاصده، ومعرفة أسراره وأغراضه [52].

ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

- **سورة غافر**: حيث ختمت بقوله تعالى: □ [غافر: ٨٤ – ٨٥].

قال أبو جعفر بن الزبير: "تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين وجاحدي الآيات، وأن ذلك ثمرة تكذيبهم وجدلهم، وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها.[53]

فالسورة ختمها سبحانه وتعالى "بتهديد الذين يجادلون في آياته، طلبا للرياسة والجاه، والحصول على المال، وكسب حظوظ الدنيا، وأبان أن هذه الدنيا فانية ذاهبة، فما فيها من مال وجاه ظل زائل، لا يغنى عنهم من الله شيئا، وقد ضرب لهم المثل بمن كانوا قبلهم ممن كانوا أكثر عددا وأشد قوة وآثارا في الأرض فلم ينفعهم شيء من ذلك حين حل بهم بأس الله، ثم ذكر أن المكذبين حين رأوا البأس تركوا الشرك وآمنوا بالله وحده، وأنّى لهم ذلك؟، وهيهات هيهات.[54]

وهذه الخاتمة لها تعلق كبير بتهديد الكفار الذين يجادلون في آيات الله تعالى بغير حق، الذين تكبروا على الاستجابة للأنبياء والمرسلين، وعاندوا رب العالمين، فلا ينفعهم عند حلول اليأس إقرارهم بوحدانية الله تعالى، وكفرهم بشركهم، فقد فات الأوان، وهذا الختام هو الذي يناسب المقصد العام للسورة، في ختم أعمال المتجبرين بالخسران المبين، سنة الله التي قد خلت من قبل[55].

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى راعى ترتيبا لطيفا في آخر هذه السورة، وذلك أنه ذكر فصلا في دلائل الإلهية وكمال القدرة والرحمة والحكمة، ثم أردفه بفصل في التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد، والمقصود أن هؤلاء الكفار الذين يجادلون في آيات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم بهذا، والسبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه، فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة".[56]

-**خاتمة سورة النساء** : ما جاء في ختام سورة النساء من الإشارة لبعض أحكام المواريث، والتأكيد على حق المرأة في ذلك: اَهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ □ [النساء: 176]. فقد جاء مناسبًا لموضوع السورة ومقصودها؛ إذ سورة النساء جاءت بجملة من الأحكام والتشريعات، ومنها الأحكام المتعلقة بالمرأة وحقها في الميراث، فكان هذا الختام مناسبًا لمضمون السورة، والمتأمل في القرآن الكريم، يلحظ ذلك في كل سوره.

– **خاتمة سورة هود** : حيث جاءت خاتمة هذه السورة مبينة لمقاصدها والتي تتلخص في الثبات على الحق من خلال أخذ العبرة والعظة من أخبار الأمم السابقة ، حيث يقول تعالى : ﴿ ﴾

[سورة هود الآيات 120 الى 123] وإذا كان الأمر كذلك فاعبده كما أمرت أنت والمؤمنون وتوكل عليه حق التوكل فمن توكل على الله فهو حسبه وكافيه، وما الله بغافل عما تعملون بل سيحاسبكم على كل صغير وكبير [57].

المبحث الثالث: قاعدة التكرار:

المطلب الأول: مفهوم التكرار في اللغة والاصطلاح: التكرار في اللغة: مأخوذ من الكرِّ بمعنى الرجوع، كما يأتي بمعنى الإعادة والعطف، كرَّر الشيء وكرَّره أعاده مرة بعد أخرى، ويقال: كرَّرت عليه الحديث وكررته إذا ردَّدته عليه [58] **التكرار في الاصطلاح:** هو ذكر الشيء مرتين فصاعدا [59].

وعرفه الزركشي بأنه: إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسي الأول، لطول العهد به [60].

وعرفه ابن الأثير بأنه: هو دلالة اللفظ على المعنى مردَّدًا [61].

المطلب الثاني: التكرار أسلوب من أساليب الفصاحة: لخص العلماء التكرار ووظائفه في ناحيتين:

الأولى: الناحية الدينية: فالقرآن في الحقيقة كتاب هداية ودلالة وإرشاد وتشريع وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين. فمثلاً تكرار القصص القرآني ليس تكراراً للقصة بآياتها وعباراتها وإنما هو ذكر جانب أو أكثر من القصة في موضع لمناسبة، وذكر جانب آخر أو أكثر في غيره لمناسبة أخرى. مع تباين واختلاف هذه الجوانب بعضها عن بعض. بمعنى أن القصة إذا قرأتها في مكان آخر فانك تقرأ في الموضع الآخر جانبا لم يذكر في الموضع الأول، تكملة للصورة العامة التي يقررها القرآن في قصصه.

الثانية: الناحية الأدبية: وظيفة التكرار من الناحية الأدبية متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان، وكذلك يعد التكرار أسلوبا من أساليب الفصاحة والبيان، لذا كان أرباب الفصاحة يكررون بعد الألفاظ والمعاني، وهذا واضح وظاهر حتى في زماننا هذا بين الخطباء والشعراء وغيرهم [62].

وقد أشار ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى أنه لا يوجد في القرآن تكرار محض، بل إن التكرار الوارد في القرآن الكريم له فوائد متعددة وثمرات كثيرة، فيقول – رحمه الله تعالى– في معرض حديثه عن قصة نبي الله موسى – عليه السلام – : "وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي إذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس

في الاسم الآخر وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن إذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر ، وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذى في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الاسماء المفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الأخ وليس في القرآن تكرار أصلا [63].

المطلب الثالث: أنواع التكرار:يمكن تقسيم التكرار في القرآن الكريم إلى قسمين: التكرار اللفظي، والتكرار المعنوي.

أوَّلًا: التكرار اللفظي: ويقصد بالتكرار اللفظي ما تكرر فيه اللفظ أو الجملة دون اختلاف في المعنى ومثال ذلك: قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ [المؤمنون: 36].

ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الانسان: 15–16].

ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ [الفجر: 21].

ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الشرح: 5–6].

ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ [التكاثر: 3–4].

ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الانفطار: 17، 18].

ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ [الشعراء: 9]. حيث تكرَّرت هذه الآية في سورة الشعراء أكثر من مرة.

وقوله تعالى: □ □ □ □ [المرسلات: 15]. حيث تكرَّرت هذه الآية في سورة المرسلات أكثر من مرة.

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ [القمر: 17]. حيث تكرَّرت في سورة القمر أكثر من مرة.

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ [الرحمن: 13]. حيث تكرَّرت في سورة الرحمن أكثر من مرة.

ومن ذلك أيضًا: قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ حيث تكرَّرت هذه الآية في القرآن الكريم ست مرات: [يونس: 48]، [الأنبياء: 38]، [النمل: 71]، [سبأ: 29]، [يس: 48]، [الملك: 25].

وكذلك قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾، حيث وردت هذه الآية في سورتين: [التوبة: 73]، [التحريم:9] [64].

ثانيًا: التكرار في المعنى دون اللفظ: وهو تكرار المعنى دون أن يتكرر اللفظ، وأغلب هذا النوع من التكرار وارد في القصص القرآني، كما ورد في قصة آدم عليه السلام، حيث وردت في سورة البقرة ثم تكررت في

سورة الأعراف فقال تعالى في سورة البقرة: □
□ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ - [البقرة: 35-38].

وقال في سورة الأعراف: □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الأعراف: 19-20] (65).

المطلب الرابع: أغراض التكرار وفوائده:

المتدبر في آيات القرآن الكريم يرى أنه لا تكرار في القرآن بمعنى أن يكون هناك تكرار من غير حاجة إليه، بل أنه إذا تكرَّر لفظ أو معنى، فإنما يكون ذلك لمناسبة جديدة أو لغرض ما، ونستطيع أن نلخص أغراض التكرار في القرآن فيما يلي:

أوَّلًا: التقرير: بمعنى أن يتكرر اللفظ والمعنى ليثبت ويقرر في نفس السامع معنى جديدًا أو معنىً سابق، وقد قيل: «الكلام إذا تكرَّرَ تقرَّر»، وقد نبه سبحانه وتعالى على المعنى الذي لأجله كرَّر الأقاصيص والإنذار في القرآن الكريم بقوله: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [طه: 113] (66).

ثانيًا: التأكيد: وهو أن يأتي التكرار تأكيدًا للمعنى وترسيخًا له، والتكرير أبلغ من التأكيد؛ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّ ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ □ □ □ □ □ □ [الفاتحة: 5]. فكرَّر لفظ: «إيَّاك» للتأكيد (67).

ثالثًا: زيادة التنبيه: وذلك ليتلقى السامع الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [غافر: 38-39].

ومنه قول الله تعالى: □
□ [مريم: 42-45] (68).

رابعًا: التعظيم والتهويل: ومنه قول الله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الحاقة: 1-3].

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [القارعة: 1-3].

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [القدر: 1، 2] (69).

خامسًا: الوعيد والتهديد: ومنه قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ [التكاثر: 3-4]. وذكر «ثُمَّ» في المكرَّر دلالة على أنَّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وفيه تنبيه على تكرُّر ذلك مرة بعد أخرى، وإن تعاقبت عليه الأزمنة، لا يتطرق إليه تغيير بل هو مستمر دائمًا (70).

هذا نذرٌ يسير من أغراض التكرار وفوائده، وأغراض وفوائد التكرار أكثر من ذلك بكثير، وحصرها عسيرٌ...

المطلب الخامس: دلالة التكرار على مقاصد السور: عند تتبع الألفاظ والمعاني المكررة في بعض السور نستطيع من خلال هذا الأمر الوقوف بسهولة ويسر على مقاصد هذه السور، فمن الأساليب التي سلكها

العلماء للكشف عن مقاصد السور القرآنية هو تتبع الألفاظ والآيات المكررة في السورة الواحدة؛ إذ الألفاظ المكررة في السورة الواحدة في أكثر الأحيان تكون مرشدة إلى موضوع السورة ومقصودها.

يقول مصطفى صادق الرافعي: «ثم تدبَّر الألفاظ على حروفها وحركاتها وأصالتها ولحونها، ومناسبة بعضها لبعض في ذلك، والتغلغل في الوجوه التي من أجلها أُختير كل لفظ في موضعه، أو عُدلَ إليه عن غيره، من حيث موافقته لمعنى الجملة ونظمها، ومن حيث دلالته في نفسه، وملاءمته لغيره، ثم النظرِ في روابط الألفاظ والمعاني من الحروف والصيَغ التي أقيمت عليها اللغة ووجه اختيار الحرف أو الصيغة، وموضع ذلك في الغناء والإبلاغ في الدلالة من سواه، ثم طريقة النسق والسرد في الجملة ووجه الحذف أو الإيجاز أو التكرار ونحوها، ما هو خاص بهذه الطريقة حسب ما توجهه المعاني، فإن كل ذلك في القرآن الكريم على أتمه»(71).

ويقول الدكتور رشيد الحمداوي: «وكما يتنبه المفسر إلى الآيات أو المقاطع أو الالفاظ المتكررة، فكذلك ينبغي أن يتنبه إلى المعاني التي تتكرر في غضون السورة؛ لأن تكرارها دليلٌ على أن تأكيدها وترسيخها في النفوس مراد» (72).

ومن النماذج على ذلك:

أن الآيات التي تدعو وتحثُّ على الإنفاق وردت أكثر من مرة في سورة البقرة، من نحو قوله تعالى: □ □ □ □ [البقرة: 3]. وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [البقرة: 195]. وقوله تعالى: □ [البقرة: 215]. وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [البقرة: 245]. وقوله تعالى: □ [البقرة: 254]. وقوله تعالى: □ [البقرة: 261]. وقوله تعالى: □ [البقرة: 267]. وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [البقرة: 270]. فتنبَّه الإمام البقاعي إلى هذا التكرار، وقال: «النفقة من أصول ما بنيت عليه السورة من صفات المؤمنين» (73).

تكرر صفة «الرحمن» في سورة مريم ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فظهر من ذلك أنَّ من مقاصد السورة الكريمة تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين أنكروا هذا الوصف، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الفرقان: 60] (74).

– تكرُّر قوله تعالى في سورة الرحمن: □ □ □ □ □ [الرحمن: 13]. ففيه دلالة على أنَّ مقصود السورة هو التذكير بنعم الله تعالى، فالتكرار الوارد في " سورة الرحمن " في قوله تعالى: (□ □ □ □ □) حيث ذكر فيها إحدى وثلاثين مرة يدل على أن الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعَم على الثَّقَلين:

الإنس والجن، وبعد كل نعمة أو نعَم يعددها الله تأتى هذه العبارة: (□ □ □ □) وعلى هذا الأساس يمكن بيسر فهم عِلَّة التكرار الذي حفلت به سورة الرحمن أنه تذكير وتقرير لنعمه، وأنها من الظهور بمكان فلا يمكن إنكارها أو التكذيب بها " فتكرار الفاصلة في الرحمن يفيد تعداد النِعَم والفصل بين كل نعمة وأخرى لأن الله سبحانه عدد في السورة نعماءه وذكر عباده بآلائه ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها، فمن خلال هذا التكرار يستطيع القارئ أن يتعرف على المقصد الأسمى من السورة الكريمة[75] .

– كذلك في سورة المرسلات، تكرار قوله تعالى:" وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ"، فقد دل تكرار هذه الآية على أن المقصد الأسمى من هذه السورة توعد وترهيب المكذبين بآيات الله التي عددها وبينها لهم، وكذلك المكذبين باليوم الآخر وما فيه من أهوال فقد تكررت هذه الآية: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) عشر مرات بعد هذه المرة وهي في كل مواضعها تتلو مشهداً من مشَاهد القيامَة، وصورة من صور الحشر. أو مشاهد القُدرة الإلهية.

يقول د/ عبد العظيم المطعني عن التكرار في سورة المرسلات:" أما السبب العام الذي اقتضى هذا التكرار فإن الآية أعقبت ما من شأنه أن يكون أكبر داع من دواعى الإيمان والتصديق. بحيث يكون الخارج عن هذا السلوك والمكذب به صائراً – لا محالة – إلى الويل، والعذاب الأليم فويل للمكذبين بيوم الفصل. وويل للمكذبين بهلاك المجرمين. وويل للمكذبين بقُدرة الله وتقديره أرزاق الخلق. وعلى هذا المنهج يمضي التكرار فى السورة كلها [76].

وهذا لا شك يظهر لنا الغرض من التكرار في هذه السورة وهو الدلالة على مقصدها وهو ترهيب المكذبين بآيات الله عز وجل.

المبحث الرابع: قاعدة التناسب:

المطلب الأول: مفهوم التناسب في اللغة والاصطلاح:

التناسب لغة: المناسبة لغة: قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (النون، والسين، والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيئ بشيئ، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب. وهو نسيب فلان. والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض)[77]

وقال في لسان العرب: (وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة)

والمشاكلة بمعنى: المماثلة. تقول: هذا شكل هذا، أي: مثله.

فالمناسبة لغة تعني: الإتصال، والمقاربة، والمماثلة[78] .

وقال بدر الدين الزركشي (ت 794هـ): "المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة"[79]

ويتضح مما تقدّم أن التناسب في اللغة يدور حول الاتصال والعلاقة والمقارنة عموماً.

التناسب اصطلاحًا:

اعتنى كثير من المفسرين بـ (علم مناسبات القرآن الكريم) في تفاسيرهم، على اختلاف مشاربهم، كما بحثوا في المناسبة بين الآيات، بحثوا عن الصلة والمناسبة بين سور القرآن عامة فعرفوا (التناسب) بتعريفات عديدة منها: تعريف ابن العربي (ت 543هـ) بقوله: "هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة، مُتسقة المعاني، منتظمة المباني"[80]، ويظهر من تعريفه أنه لم يذكر العلاقة بين السورة والسورة ضمن علم المناسبة، ولكنه أيضاً لم ينف ذلك .

وعرفه البقاعي (ت1984م) بقوله:" علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب اجزائه وسر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها"[81]، ويظهر من كلام البقاعي ذكر علل الترتيب والاتساق، وأسبابها.[82]

وقد عرفها الشيخ مصطفى مسلم: "أنها الرابطة بين الشيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السور بما قبلها وما بعدها وفي الآيات تعني المتعددة أو بين السورة والسورة[83] .

وبعد استعراض هذه التعريفات يمكن جمعها في تعريف واحد يتضمن ما ورد فيها فيكون التعريف لعلم المناسبة: هو العلم الذي يدرك به وجه الترابط والاتساق بين الآيتين أو الآيات وبين السورتين أو السّور من أول القرآن الكريم إلى آخره مع بيان علل ذلك الترتيب وحِكَمه.

المطلب الثاني: علم المناسبة بين المؤيدين والمعارضين:

بعد تقرير مفهوم وأهمية علم التناسب نأتي لذكر المؤيدين والمعارضين له، فقد أيد هذا العلم عدد كبير من السابقين والمعاصرين وعارضه قلة قليلة وقفت على اثنين منهم فيما بحثت.

أما المؤيدون فكثر؛ نذكر منهم أبا بكر النيسابوري(318هـ)، والزمخشري (538هـ)، والرازي (606هـ)، والزركشي (794هـ)، والبقاعي(885هـ)، ومحمد رشيد رضا (1354هـ)، وسيد قطب (1386هـ) رحمهم الله، وغيرهم .

قال الشيخ أبو بكر النيسابوري: "إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيبًا وتماسكًا.[84]

ويقول الزمخشري في كشافه: "فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه، ومكانة أضمداه، ورصافة تفسيره، وأخذ بعضه بحجز بعض، كأنما أفرغ إفراغًا واحدًا، ولأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقاشق.[85]

وقد ذكر فخر الدين الرازي: "علم المناسبات علم عظيم، أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول". وقال في ختام تفسيره لسورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم

هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك".

وقال الإمام الزركشي: "وأعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز بها العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، ثم يقول: وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البنـاء المحكم المتلائم الأجـزاء.[86]

وقال البقاعي في كتـابه نظم الدرر: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن في اللب ، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين ، أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر على الترتيب.[87]

وقد بيّن الأستاذ سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن) أن جمال القرآن الكريم ليس في كونه أجزاء وتفاريق، وإن كان للأجزاء جمال وسحر، ولكن جماله في كونه جملة موحدة، تقوم على قاعدة خاصة فيها التناسق العجيب، ما لا يدركه إلا من عرف قيمته، وعانى قراءته ومدارسته، ووقف على صميم النسق القرآني الذي هو منيع التأثير والسحر)

وأما المعارضـون لوجود التناسب بين الآيات والسور :

ومن بين هؤلاء: الإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام الشوكاني (ت 1250 هـ).

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام: "واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض، لئلا يكون مقطعًا مبتوراً، وهذا يشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلاميين بالآخر، وقد استدل على ذلك ببعض الأمثلة منها :

تصرف الملوك في مدة حكمهم كذلك الحكام والمفتون حيث ترد عليهم أحكام متضادة ووقائع مختلفة، وليس لأحد أن يلتمس ربط هذه الأحكام ببعـض.[88]

ومن ربط ذلك فهو متكلف، لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصان عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب.[89]

الواضح من كلام العز بن عبد السلام إنه لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، ولكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد وما سواه فهو أمر متكلف والسبب الآخر هو طول المدة الزمنية التي نزل بها القرآن وتعدد أسباب النزول كل ذلك يبعد التماسك والترابط حسب رأيه.

أما الشوكاني: فقد أنحى باللوم، بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في القرآن الكريم، وأطال في الاستدلال لرأيه، في تفسير بعض الآيات بأن هذا العلم لا يعود عليهم بفائدة، بل اوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي، فجاءوا بتكلفات يتبروا منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء.[90]

في الرد على دعوى الإمام الشوكاني رحمه الله ، يقول الشيخ ولي الدين الملوي : « وقد وهم من قال : لا يطلب للآية الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا ، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، كما أنزل إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ... والذي ينبغي في كل أية أن يبحث أول شيء كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له ... »[91]

المطلب الثالث: مجالات التناسب في القرآن الكريم :

وردت عدة تقسيمات لمجالات التناسب في كتب المهتمين بهذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسمياتها، ومن خلال التأمل والتتبع، يمكن القول بأن مجالات علم التناسب ينقسم إلى قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته، وذلك على النحو الآتي :

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة[92]، وله عدة صور:

1. التناسب بين الآية وما قبلها مباشرة .
2. التناسب بين الآية وما قبلها عموماً .
3. التناسب بين الآية وما بعدها من نفس الموضوع .
4. التناسب بين الآية وأول السورة .
5. التناسب بين جزء الآية وصدرها .
6. التناسب بين ختام الآية وصدرها .
7. التناسب بين صدر الآية وخاتمة التي قبلها مباشرة .
8. التناسب بين ختام الآية والآية التي قبلها مباشرة .
9. التناسب بين صدر الآية وما قبلها من الآيات عموماً .

القسم الثاني: التناسب بين السور، وله عدة صور :

1. التناسب بين أوائل السور وأواخر ما قبلها .
2. التناسب بين آخر السورة وما قبلها .
3. التناسب بين مجموعة سور .
4. التناسب بين الفواصل القرآنية وآياتها .

5. التناسب بين اسم السورة ومضمونها .

المطلب الرابع: آثار علم التناسب :

أظهر التناسب العلاقة بين كل الأطراف سواء عند الحديث عن السورة الواحدة أو الآية الواحدة، وهذه المنظومة المتكاملة والبعيدة عن التناقض في شتى صوره تُظهر عظمة القرآن الكريم ومعجزاته التي لم تنتهي إلى الآن رغم تطور العلوم الشرعية والبلاغية .

وفي ذلك فقد صرّح البقاعي باعتماد الصحابة والتابعين على علم التناسب في فهم آي الكتاب الحكيم، فقال في كتابه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور": "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون[93] .

وقال أبو عبيدة في كاتب الفضائل: حدثنا معاذ بن عوف عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله، وما بعده، وروى عبدالرزاق عن ابن عينة عن الأعمش عن إبراهيم قال: قال ابن مسعود _رضي الله عنه_ إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا، فليسأله عما قبلها[94]. وروي "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منتظمة المباني.[95]

نستدل مما سبق قدم علم التناسب وإن لم يظهر جليا كما هو اليوم؛ إلا ان له أثراً طيباً على الصحابة والتابعين وما بعدهم في الإعجاز والربط وظهور كينونة عظمة القرآن وتكامله بصورة ممنهجة وواقعية وموافقة لفطرة الإنسان وطبيعته.

خلاصة القول : أن علم التناسب ليس قريناً أو شبيهاً لعلم المقاصد وإنما هو من الطرق الكاشفة عن مقصد السورة أو مقصد الآية ، كما أن المقصد يؤدي أحياناً الى كشف وجه التناسب بين السورتين أو السور ، ووجه الشبه بين علم المقاصد وعلم المناسبات يكون من جهة أن كلاهما مستتران لا يبدوان للقارئ أو المفسر من أول وهلة وإنما يحتاجان الى بذل جهد جهيد بين علوم القرآن وكتب التفسير حتى يتبين الخيط الرابط بين السور أو الخيط الذي يجمع مواضيع السورة في مقصد، كما أنهما يتشابهان في كونهما أمرين اجتهاديين ، ويبقى باب الاجتهاد فيهما مفتوحاً، ولا ينكر على أحد بما فتح الله عليه من مناسبة أو مقصد.

المطلب الخامس: دلالة التناسب على مقاصد السور:

إن الناظر في القرآن الكريم يجده في كثير من سوره ينتقل من معنى إلى آخر، ومنه إلى آخر، ثم يعود لما ابتدأ به وهكذا... وليس هذا العود إلا للدلالة على وجود مقصد يربط بين تلك الآيات؛ وقد لاحظ الشيخ محمد عبد الله دراز ذلك فقال: «ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطًا حقيقيًا واضحًا محدَّدًا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها

الرئيسة، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة» [96]

وقال الرافعي: " "فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب، وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام، كأنها تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها وَيغلبَ عليك شبيهه في التمثيل مما يغلب على أهل الحس بالجمال إذا عَرَضت لأحدهم صورة من صوره الكاملة.[97]

من الأمثلة على ذلك المناسبة بين سورتي ص، والزمر فتتضح مما يلي:

بدأت سور (ص) حديثها بعد القسم عن الكفار وما هم فيه من منعة وقوة، ومعاداة الله ورسوله، وهذا فيه إشارة إلى ضعف المؤمنين، وذلك لقلة عددهم، وعتادهم، وتكالب الناس عليهم من كل حدب وصوب، فهم ضعفاء، ليسوا في منعة أهل أو قبيلة، أو دولة، وأما الكفار، فهم في منعة من قومهم، جمعتهم حمية الجاهلية، والعصبية القبلية[98]، فمقاصد السورة تدور حول نصر الله عز وجل لعباده المؤمنين الضعفاء، وما ذكره من أدلة وشواهد على ذلك، كما أن الله عز وجل أهلك كثيراً من القرون قبلهم[99]، فهو قادر على نصرة عباده المؤمنين الضعفاء، الذين لا يملكون من مقومات النصر إلا قليل، وسحق وإهلاك الكفار، الذين جمعتهم العصبية، والقبلية، فاجتمعوا على كلمة سواء، وهي قتال المسلمين، والقضاء عليهم، واستئصال شأفتهم.

وأما سورة الزمر فأخبر سبحانه وتعالى فيها أنه أنزل القرآن الكريم، كلام الله تعالى، المنزل من عند من اتصف بالعزة والحكمة، وعليه فيكون القرآن الكريم كله حكمة، وحامله في عزة ومنعة من عند الله تعالى، فهي بيان لصفات المولى جل وعلا، وعيظم قدرته[100]، وهذا الإخبار تقدمة وتوطئة لقوله: (إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ)، فهو الحق في نفسه، وفي أحكامه وأخباره.

قال البقاعي: "ومقصودها: الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل، لأنه لا يفوته شيء ويضع الأشياء في أوفق محالها، وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر، للإشارة بها إلى أنه سبحانه أنزل كلا من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم عدلا منه سبحانه يا أهل النار، وفضلًا على المتقين الأبرار، وعلى مثل ذلك دلت تسميتها بالغرف.[101]

مما سبق يتضح أن هناك علاقة بين سورتي ص، والزمر، فسورة ص تحدثت عن نصر الله عز وجل، وأن أفعاله كلها حكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وكذلك سورة الزمر، فهي تتكلم عن حكم الله تعالى، وأنه حكيم يضع الشيء في موضعه، وبذلك تكون العلاقة بين السورتين علاقة تكاملية، فكلاهما مكمل للآخر في موضوع الحديث عن حكمة الله تعالى.

ومن الأمثلة أيضاً المناسبة بين سورة غافر وفصلت، حيث تتضح مما يلي:

أما سورة غافر، فمقصودها بيان أصناف الناس وأنهم قسمان:

القسم الأول: أهل الإيمان، الذين وعدهم الله بالجنة ونعيمها.

القسم الثاني: أهل الكفر والعصيان، وهؤلاء هم الذين توعدهم الله تعالى بالنار وعقابها يوم القيامة.

فغرض السورة بيان أصول الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وموقف الناس من كتاب الله تعالى، والتنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالاً، وإبطال عبادة ما يعبدون من دون الله. والتذكير بنعم الله على الناس ليشكره الذين أعرضوا عن شكره. والاستدلال على إمكان البعث. وإنذارهم بما يلقون من هوله وما يترقبهم من العذاب[102].

قال القيعي: " (مقصودها) الاستدلال على آخر التي قبلها من تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، فإن فاعل ذلك له العزة الكاملة والعلم الشامل، فمن لم يسلم أمره كله إليه، وجادل في آياته الدالة على القيامة أو غيرها بقوله؛ فإنه يجزيه فيعذبه ويرديه"[103].

وأما سورة فصلت فمقصودها ما يلي:

1-بيان إعجاز القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

2-بيان موقف الكفار من القرآن الكريم، وتكذيبهم له.

3-إبطال حجج المشركين، ودحضها.

4-زجر المشركين وتوبيخهم على تكذيبهم للأنبياء والمرسلين مع وضوح الدلائل على صدقهم.

5-بيان عاقبة المكذبين من الأمم السابقة، وأن من لم يتعظ بهم، سيلقى مصيرهم.

6-بيان دلائل قدرة الله تعالى على البعث والنشور.

7-تثبيت المؤمنين وتأييدهم[104].

ويتضح مما سبق أن العلاقة بين السورتين تتمثل في أن سورة غافر فصلت الناس إلى قسمين، وتحدثت عن جزاء كل قسم منهما، وكذلك تحدثت السورة عن المؤمنين، وتثبيتهم من الله، وجزاء الكافرين المكذبين من قريش، والأمم قبلهم، كما تحدثت السورتان عن دلائل قدرة الله تعالى على البعث والنشور، وبذلك تكون العلاقة بين السورتين علاقة تكاملية، تبين احداهما الأخرى.

ومن الأمثلة التناسب بين سورتي الشورى والزخرف:

مقاصد سورة الشورى، هي:

1 – التنويه بشأْن القرآن بأَنه وحي من عند الله، وكذلك كانت كتب الأَنبياء السابقين.

2 – الإشادة بقدرة الله، وأَنه – سبحانه – لا يخرج عن سلطانه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

3 – بينت أن السموات تكاد أن يتشققن من فوقهن لعظمة الله، وكمال الخشية منه.

4 – هددت الذين اتخذوا من دونه أولياءَ بأن الله حفيظ عليهم ليجازيهم بما اقترفوا.

5 – بيان أنه – تعالى – لو شاء أن يجمع الناس على ملة واحدة لجمعهم، ولكن الحكمة اقتضت أن يكون منهم المهتدي والضال.

6 – بيان ما يفعله المؤمنون مع المشركين إذا خالفوهم في الدين.

7 – بيان القدرة البالغة لله جل وعلا في أنه جعل لكم من أنفسكم أزواجًا، ومن الأنعام أزواجا.

8 – أكدت وحدة الشرائع.

9 – التنديد بشرك المشركين واختلافهم في الحق ظلمًا بعد أن أُمروا بإقامة الدين وعدم التفرق فيه.

10 –بيان أن الذين ورثوا الكتاب من أسلافهم وأدركوا عهد الرسول لفي شك من كتابهم موقع في الريب[105].

ويمكن إجمال ذلك بأن مقصودها: "بيان حجة التوحيد، وتقرير نبوة الرسول، وتأكيد شريعة الإسلام، والتهديد بظهور آثار القيامة، وبيان ثواب العاملين دنيا وأخرى، وذل الظالمين فى عرصات القيامة ووعد التائبين بالقبول، وبيان الحكمة فى تقدير الأرزاق وقسمتها، والإخبار عن شؤم الآثام والذنوب، والمدح والثناء على العافين من الناس ذنوب المجرمين، وذل الكفار في مقام الحساب"[106].

وأما سورة الزخرف فتهدف إلى ما يلي:

1–بيان أن القرآن الكريم موصى به من عند الله – تعالى – وأنه نزل بلغةٍ يفهمونها، لأجل تدبر آياته، لعلهم يؤمنون به.

2–بيان عقيدة التوحيد، وأن الله هو الحق وما يعبدون من دونه الباطل.

3–بيان أن الجنة حق، والنار حق.

4–تنبيه لأهل الغلفة من غفلتهم، وبين لفساد عقيدة أهل الكفر والشرك[107]، فالله عز وجل "أقسم بالكتاب الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة"[108]

5–تهديد المشركين بإهلاكهم كما فعل بمن قبلهم، وذلك إذا استمروا على كفرهم وعنادهم.

6–إظهار قدرة الله وتفرده بالجلال وأنه – سبحانه – حقيق بالوحدانية.

7–بيان ما كان عليه المجتمع الجاهلي من معتقدات قبيحة، كنسبه الولد إلى الله.

8–بيان أن إبراهيم – عليه السلام – الذي كان المشركون يدَّعون أنهم في شركهم على دينه وطريقته – أثبتت – أنه برئ مما يعبدون.

9–بيان أن الاستعلاء في الأرض لا ينجي من عذاب الله، فقد أهلك الله فرعون ومن معه لتسلطهم وكفرهم واغترارهم بما لديهم من الدنيا وزخرفها[109].

ومما سبق يتبين العلاقة بين السورتين، من خلال ما يلي:

بيان عقيدة التوحيد، وأن الحجة قامت على أهل الكفر، فلا حجة لهم في التكذيب، كما أن كلا السورتين بين عظيم قدرة الله تعالى، الدالة على وجوده، واستحقاقه للوحدانية، كلا السورتين فيه تهديد للمشركين على كفرهم، وبذلك تكون السورتان جسداً واحداً.

ومن الأمثلة على تناسب أول السورة مع آخرها ودلالته على المقصد ، التناسب الحاصل في آيات سورة البقرة ، فقد دل هذا التناسب على أن المقصد الأساسي من هذه السورة هو الإيمان بالغيب ، لذا جاء التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها مؤكدة على هذا المقصد ، حيث تضمنت مقدمة سورة البقرة وصف المتقين أنهم يؤمنون بالغيب، وموضوع الآخرة، الذي يعتبر ركناً رئيساً في السورة، مرتبط بالغيب، كما نُبّه الملائكة في قصة آدم، إلى أن الله تعالى يعلم ما لايعلمون، وخُتمت السورة بالحديث عن إيمان الرسول– صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه بأركان الإيمان التي هي من صلب الإيمان بالغيب[110].

ومن الأمثلة أيضا على ذلك أن التناسب الحاصل في سورة الأنعام بين فاتحة السورة وخاتمتها فيه دلالة على مقاصد السورة وفي مقدمتها إثبات وجود الله –تعالى ووحدانيته حيث قرر الله – تعالى– في هذه السورة أنّه وحده من يستحق الحمد، فهو وحده من خلق الخلق وحدّد لهم نظام الحياة والموت، وأبدع العوالم، وأبطل تأثير الأصنام والجن، فالله –تعالى– قد أشار إلى تنزيهه عن اتخاذ الولد والصاحبة، وقد ختمها بما بُدئت به، ففي بدايتها قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الأنعام: 2]، وفي خاتمتها قوله تعالى: □ [الأنعام: 164]. وهذا هو معنى قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [الأنعام: 1].، فقد دل هذا التناسب على أن المقصد الأسمى من السورة هو إثبات وجود الله ووحدانيته.

ومن أمثلة ذلك: سورة المؤمنون حيث افتتحت بقوله تعالى: □ □ □ □ (المؤمنون:1) وختمت بقوله تعالى: □ □ □ □ □ [المؤمنون: 117]. فدلَّ ذلك على أنَّ مقصود السورة: هو التحريض على الإيمان وعلى الاستمساك بما يوجب بقاءه وتنميته[111].

المبحث الخامس: قاعدة مناسبة النزول (سبب النزول)

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول في اللغة والاصطلاح:

تعريف السبب في اللغة: الْحَبل، وَمَا يتَوَصَّل بِهِ إِلَى غَيره، واعتلاق قرَابَة، وَالْجمع أَسبَاب، والسبب هُوَ مَا يكون طَرِيقا ومفضيا إِلَى الشَّيْء مُطلقًا، وَهَذَا الْمَعْنى يَشْمَل الْعلَّة وَالسَّبَب[112].

النزول في اللغة: النُّزول، بالضَّمّ: الحُلول، تقول: نزل فلان بالمكان أي حل فيه، وَهُوَ فِي الأصلِ انحِطاطٌ من عُلو[113].

أسباب النزول اصطلاحا: هناك تعريفات كثيرة لأسباب النزول نذكر منها:

سبب النزول هو: "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه" كحادثة تقع حين نزول القرآن الكريم فتنزل آية أو آيات من القرآن تبين الحكم فيها أو كسؤال يوجه إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– فتنزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليه[114].

وقيل هو:" الحادثة التي وقعت في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم ونزل بشأنها قرآن، أو الأسئلة والاستفسارات الموجهة للنبي صلّى الله عليه وسلّم، وجاءت الآيات مجيبة عنها [115].

وقيل سبب النزول: «هو ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه»[116].

المطلب الثاني: دلالة أسباب النزول على مقاصد السور:

وعلم أسباب النزول من أهم العلوم اللازمة للتعرف على مدلول الآية ومفهومها، ومقصدها، وأكثر المفسرين علمًا بأسباب النزول هم أقدرهم على تفسير القرآن الكريم وأعلمهم به؛ لذلك اهتم العلماء به من لدن الصحابة الكرام إلى يومنا هذا، حتى قال الإمام علي رضي الله عنه: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما أنزلت، وأين أنزلت، إنَّ ربي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا سؤولًا»[117].

ولا شك أن الوقوف على هذا العلم والانشغال به ييسر على القارئ معرفة المقصد من الآيات، ودفع الغموض الحاصل في فهم بعضها، فهناك في القرآن آيات لا يتبين معناها إلاّ إذا وقف القارئ على الأسباب التي نزلت في شأنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(118).فلمعرفة سبب النزول أكبر الأثر على فهم الآية وإدراك مقصودها، والجهل بسبب النزول قد يؤدي إلى تعطيلها، بل وربما العمل بخلافها؛ ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ [المائدة:93]. فقد حكي أن البعض كان يقول: إنَّ الخمر مباح، ويحتج بالآية لجهله سبب نزولها، والقصة أنَّه لما نزل تحريم الخمر وأنها رجس من عمل الشيطان قال بعض المسلمين: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهو يشربونها، فنزلت الآية[119].

وقد تنبه الإمام الشاطبي إلى أنَّ معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد أن يعلم مقاصد القرآن؛ فقال: «معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران: أحدهما: أنَّ علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب؛ إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك؛ كالاستفهام، لفظه واحد، ويدخله معانٍ أُخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة؛ فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل

مشكل في هذا النمط؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع»[120].

ومن فوائد معرفة أسباب النزول في بيان وفهم النص ما يلي:

1 – معرفة حكمة الله تعالى، التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام.

2 – معرفة السبب يعين على فهم الآية، ويدفع الإشكال عنها، ويكشف الغموض الذي يكتنف تفسيرها..

3 – دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر.

4 – تخصيص حكم ما نزل – إن كان بصيغة العموم – بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ1، وهي مسألة خلافية.

5 – معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها.

6 – معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره، فيتهم البريء، ويبرأ المريب.

7 – تيسير الحفظ، وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها؛ وذلك أن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة، كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن[121].

قال الدكتور فتحي الدريني:«اقتضاء صحة التفسير وعلميته" للمأثور" أمر تقتضيه ظروف تنزيله منجما على مدى ثلاث وعشرين عاما تقريبا، إذ احتفت ببعض آية ظروف ومناسبات، يطلق عليها" أسباب النزول" مما لم يتح لغير من عاصر التنزيل مشاهدتها، والوقوف على دقائقها، كما يطلق عليها بعض من تخصص فى علم أسباب النزول" القصة التشريعية" وهى عنصر بالغ الأهمية من عناصر ثقافة المفسر، إذ تسدد خطاه فى تعيين المعنى المراد، فكانت من القرائن الدالة عليه، دون أن يكون لها من أثر على تكييف النص القرآنى، فى قصر شمول معناه، أو عموم حكمه، أو تقييد إطلاقه، وإنما هى مجرد قرائن، أو دوال للاستيضاح فحسب"[122].

ومن الأمثلة على ذلك قال الواحدي في سبب نزول سورة الكافرون:" نزلت في (رهط من قريش)، قالوا: يا محمد! هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا، كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا، خيرا مما في يديك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك. فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره. فأنزل الله تعالى: قل يا أيها الكافرون إلى آخر السورة. فغدا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليها حتى فرغ من السورة. فأيسوا منه عند ذلك[123].

وقال الكلاعي: "واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة، فيما بلغنى، الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، وكانوا ذوى أسنان في قومهم، فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه!، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾، السورة كلها، أي إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لي بذلك منكم، لكم دينكم ولى دي[124] "

قال ابن عاشور بعد ذكر سبب النزول: "وبهذا يعلم الغرض الذي اشتملت عليه وأنه تأييسهم من أن يوافقهم في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال وأن دين الإسلام لا يخالط شيئا من دين الشرك[125]".

– كذلك من الأمثلة سورةُ الكوثر: قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، وذلك أنه رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر، يعني النبي صلوات الله وسلامه عليه، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة[126].

وقال يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، إلى آخر السورة، وقال عطاء عن ابن عباس: كان العاص بن وائل يمر بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ويقول: إني لأشنؤك وإنك لأبتر من الرجال، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرَ﴾ من خير الدنيا والآخرة[127].

ومن الأمثلة على ذلك سورة "هود" فكان في معرفة سبب نزولها دلالة على مقصدها، فقد نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله بما يحب ويطوي بقلبه ما يكره وقال الكلبي كان يجالس النبي يظهر له أمرا يُسِرّهُ ويُضْمِر في قلبه خِلافَ مَا يُظْهِر فَأنزلَ اللهُ تَعَالى: "ألا إنَّهُم يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يقول يُكِنُّونَ مَا فِي صُدُورِهِم مِن العَدَاوةِ لمحمد[128].

فالمقصد الأساسي من هذه السورة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من أذى المشركين لاسيما بعد تلك الفترة العصيبة التي مرَّتْ عليه بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة فكانت الآيات تتنزل عليه وهي تقص عليه ما حدث لإخوانه الرسل من أنواع الابتلاء ليتأسي بهم في الصبر والثبات، فكان سبب النزول للسورة فيه دلالة واضحة على مقصدها الأساسي.

وقد بين ابن عاشور دور سبب النزول هذا في الكشف عن مقاصد السورة، فقال: "ويتعين أن في تفريع الأمر بالنحر مع الأمر بالصلاة على أن أعطاه الكوثر خصوصية تناسب الغرض الذي نزلت السورة له، ألا ترى أنه لم يذكر الأمر بالنحر مع الصلاة في قوله تعالى: {ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين في سورة الحجر} [97، 98]"[129].

المبحث السادس: قاعدة زمان ومكان النزول

لاشك أن معرفة زمان ومكان النزول ييسر على القارئ فهم المراد من الآيات، والوقوف على مدلولاتها، كذلك الوقوف على بلاغة القرآن الكريم ومراعاته لحال المدعو، فنجد تنوعا في الأسلوب بين الشدة واللين ، والتفصيل والإجمال ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، وكل ذلك على حسب أحوال المخاطبين وهذا من إسرار الإعجاز في القران الكريم.

كذلك فإن معرفة زمان ومكان النزول يساعد القارئ في التعرف تاريخ التشريع، والتدرج في الأحكام، والوقوف على أحداث السيرة النبوية بمرحلتيها المكية والمدنية، مما يساعد القارئ فينب التعرف على حياة النبي ومواقفه في الدعوة إلى الله تعالى مما يبعث على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: دلالة مكان وزمان الآية على معرفة المقاصد:

ومعرفة مكان ونزول الآية القرآنية لا يقل أهمية عن معرفة سبب نزولها –بل إن معرفة مكان وزمان النزول جزء من علم أسباب النزول–؛ لذلك كان للصاحبة رضوان الله عليهم اهتمامٌ بالغ بمعرفة مكان وزمان نزول آيات القرآن؛ فعن عبد الله بن مسعود **ت** أنَّ قال: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه» **(130)**.

وعن طارق بن شهاب، قال: قالت اليهود لعمر رضي الله عنه: لو علينا معشر يهود، نزلت هذه الآية: ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ □ [المائدة: 3] نعلم اليوم الذي أنزلت فيه، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: فقال عمر: فقد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، والساعة، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت، «نزلت ليلة جمعة، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات» (131).

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت، أم بنهار، وأم في سهل، أم في جبل» **(132)**. إلى غير ذلك من الأخبار التي تنبه إلى أهمية معرفة ومكان نزول الآيات، وليس المقصود بمعرفة مكان وزمان نزول الآيات هي المعرفة المجردة، وإنما لما يترتب على ذلك من أثر في استنباط الأحكام ومعرفة مقاصد الآيات.

ولا شك أن معرفة مكان وزمان نزول الآيات ييسر على القارئ معرفة مقاصد السور القرآنية فمقاصد السور المكية يختلف بشكل واضح عن مقاصد السور المدنية، فالسور المكية تتميز في مقاصدها بعدة أمور:

1- يتميز المكي ببيان العقيدة الصحيحة التي بعث بها جميع الرسل وتأصليها تأصيلا ميسرا، ومحاربة العقائد الفاسدة التي توارثها أهل مكة ومن حولهم من القرى، كعبادة الأصنام والتقرب إليها بالقرابين، والتضرع إليها كلما اشتد بهم الكرب أو نزل بهم القحط.

2- كذلك عني القرآن المكي- أيضا- بالقضاء على ما كانوا عليه من أخلاق سيئة وعادات فاسدة، كسفك الدماء، ووأد البنات، وأكل مال اليتيم، والتطفيف فى الكيل والميزان، وغير ذلك من الرذائل، ودعاهم إلى أصول التشريعات العامة، والآداب السامية، بوصفها برهانا عمليا على سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد.

3- كذلك عنى القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة؛ لما فيها من عظات وعبر، وتبيان لسنة الله- تعالى- في هلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين.

ولقد كان إيراد القصص في القرآن المكي بكثرة من أبلغ الأدلة على أن القرآن كان وحيا من الله تعالى.

4- كذلك من خصائص القرآن المكي: قصر معظم آياته وسوره ولا سيما أوائل ما نزل، ولعل ذلك كان كذلك ليتمكن المؤمنون من حفظه بسهولة ويسر، فهم فى أول عهدهم به لم تتعود ألسنتهم على النطق به مرتلا كما أمر الله- تعالى- أن يتلى، وفيهم الشيخ الكبير، والمرأة المسنة، والطفل الصغير، وأكثرهم أميون، فكيف يستطيعون قراءة الآيات الطويلة المقاطع، وهم لم يتعودوا بعد على مثل ذلك؛ فكان من رحمة الله بهم أن أنزل الله هذه السور القصيرة في آياتها ومقاطعها ليتمكنوا من حفظها وتلاوتها في يسر ونشاط [133].

أما عن خصائص القرآن المدني فيمكن اختصارها في عدة أمور:

1- بيان أحكام العقيدة والشريعة بالتفصيل بيانا يكشف دقائقها وأسبابها وشروط صحتها والحكمة من تشريعها.

2- ظهور تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، وفريضة الحج، وتحريم الخمر، وتحريم الربا وغير ذلك.

3- فضح أحوال المنافقين الذين كانوا أشد الناس خطرا على الإسلام والمسلمين، وبيان ما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر وخداع، وحرص وطمع، وإعلام المسلمين بمآلهم بعد إعلامهم بحالهم، ووصيتهم باتخاذ الحيطة والحذر من كيدهم وألا عيبهم، ومراقبتهم في جميع تصرفاتهم المغرضة، ومجاهدتهم بالحجة والبرهان والإغلاظ عليهم في القول والمعاملة، مع بذل النصح لهم بالرجوع إلى الله- تعالى- والتمسك بدينه الحنيف.

4- دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، ومجادلتهم بالحجة والبرهان فى معتقداتهم الباطلة، وشبههم المزيفة، وبيان جناياتهم على الكتب السماوية بالتحريف والتبديل، وردهم عن غيهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام.

ولا شك أن القارئ إذا استطاع أن يميز بين المكي والمدني من الآيات استطاع أن يتعرف بسهولة ويسر على مقاصد السور والآيات، حيث أن هناك خصائص ظاهرة تميز المكي على المدني وبالتالي يتضح المقصد من الآيات والسور.

المبحث السابع: قاعدة اسم السورة

من أهم طرق معرفة مقصد السورة هو النظر في اسم السورة أو أسمائها، فمعرفة دلالة اسم السورة يساعد على معرفة مقصدها، فكل سورة في القرآن تنفرد باسم خاص بها، رغم تشابه السور، وهو ما يؤكد أن لكل سورة شخصيتها وموضوعها الخاص، وقد قرر ذلك البقاعي بقوله: إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه134.

ويشير البقاعي إلى أهمية معرفة دلالة الآية أو القصة التي ورد فيها اسم السورة، فيقول: إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها.

وقال عند بيانه لمقصود سورة الفاتحة: ومقصودها: مراقبة العباد لربهم، وعلى ذلك دلت أسماؤها، وهكذا اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه135.

وقال الزركشي: ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به. كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وإذا تعددت أسماء السورة الواحدة التوقيفي منها والتوفيقي، فيقوم الباحث بإحصائها وإبراز القدر المشترك بينها ليدل على مقصودها، قال الزركشي: وينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها "136.

ورود آثار عن الصحابة بتسمية بعض السور انطلاقا من أغراضها وموضوعاتها. فمثلا سورة التوبة ورد عن بعض الصحابة تسميتها بالفاضحة؛ لأنها فضحت أمر المنافقين. فعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها»، قال: قلت: سورة الأنفال، قال: «نزلت في بدر»، قال: قلت: سورة الحشر، قال: «نزلت في بني النضير».

وعن عكرمة ﷺ قال: قال عمرﷺ : مافرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى «الفاضحة».

كما ورد عن قتادة أن سورة النحل تسمى سورة النعم، وذلك لكثرة تعداد نعم الله على عباده في السورة.

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر سورة النصر بالدلالة على قرب أجل النبي ﷺ، حيث قال: كان عمرﷺ يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه. فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟

فقال عمرﷺ: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: □ □ □ □ [النصر:1] ، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: «هو أجل رسول الله، الله أعلمه له»، قال: وذلك علامة أجلك، □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [النصر:3]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول137.

وقد ذكرنا في بداية الفصل الأول من هذه الرسالة آراء العلماء في تعريف السورة، وفي أحكامها، وكذلك رأيهم في كون الاسم توقيفياً أم لا بقي أمران:

الأول: مكان ورود اسم السورة في نفس السورة وهي كالآتي:

– ورَدت بعض أسماء السور أول كلمة في السورة، وذلك في إحدى وعشرين سورة، هي: طه، ويس، والصافات، و(ص)، و(ق)، والذاريات، والطور، والنجم، والرحمن، والحاقة، والمرسَلات، والنازعات، وعَبَس، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والعاديات، والقارعة، والعصر.

– جاءت بعض أسماء السور ضمن الآية الأولى للسورة، لكن ليس أول كلمة فيها، وذلك في ثلاث وأربعين سورة، هي: النساء، والأنفال، والإسراء، والمؤمنون، والفرقان، وفاطر، والفتح، والقمر، والواقعة، والمجادلة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والمُلك، والقلم، ونوح، والجن، والمزمل، والمدثر، والقيامة، والإنسان، والتكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والبلد، والشرح، والقَدْر، والبَيِّنة، والزلزلة، والتكاثر، والهُمَزة، والفيل، وقريش، والكوثر، والكافرون، والنصر، والفلق، والناس.

– ورَدت بعض أسماء السور ضمن الآية الأخيرة للسورة، وذلك في أربع سور، هي: النساء، والماعون، والمسد، والناس.

– جاءت بعض أسماء السور داخل السورة، وذلك في سبع وأربعين سورة، هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحِجر، والنحل، والكهف، ومريم، والحج، والنور، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ومحمد، والحجرات، والحديد، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والتغابن، والمعارج، والنبأ، والعلق.

الثاني: أمثلة دلالة أسم السورة على مقصدها:

سورة الاسراء: حيث أن اسم السورة إشارة إلى الحادثة التي انتقل فيها الكتاب من بني إسرائيل إلى أمة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي أصبحت مسئولة عن قيادة البشرية بهذا الكتاب الخاتم وهي أكثر سورة يذكر فيها القرآن وأهميته ودوره.

محور السورة وموضوعها الأساسي: انتقال الكتاب ومسئوليته من أمة إلى أمة حتى استقر في أمة النبي – صلى الله عليه وسلم – فلا أمة أخرى بعدها بل قيامة وحساب فعلى هذه الأمة استشعار قيمة القرآن وقيمة المسؤولية من قراءته وحفظه وتنفيذه والدعوة إليه. حيث فصلت السورة بيان كيف وصل الكتاب إلى بني إسرائيل وكيف كلفوا بحمل أمانته ولماذا انتقل منهم – بطغيانهم وخروجهم على هدى نبيهم – إلى أمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بالكتاب الأخير (القرآن) الهادي إلى الطريق القويم والذي يحمل كل خير إلى قيام الساعة وأن هذه الأمة مسؤولة عن حمل مسؤولية القرآن إلى قيام الساعة وبيان مصير كل من يتخلى عن حمل هذه الأمانة في الدنيا والآخرة: [آية (1) – آية (39)].

- ومن الأمثلة على ذلك سورة الكهف:

ففي اسمها اشارة واضحة الى أن الالتزام بمنهج الله فيه النجاة من الفتن، كما أن الكهف يقي الانسان من الظروف الصعبة من برد وحر وافتراس، ومثل ذلك بقصة أصحاب الكهف وكيف حول ذلك الكهف الضيق المظلم المخيف إلى رحمة ونور وسعة وطمأنينة.

محور السورة وموضوعها الأساسي: الفتن الأساسية التي يتعرض لها المؤمنون وكيفية التخلص منها. فكأن السورة الكريمة كهفٌ لمن استمسك واعتصم بها؛ إذ الكهف ما يلجأ إليه للحذر من أمر مخوف؛ وقد جاء في حديث أبي الدرداء ﷺ، أنَّ النبي ﷺ، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»[138].

وتشرح السورة مسألة الفتن وطريقة النجاة منها بوسائل مختلفة منها الأمثلة بالقصص، حيث ذكرت أربع قصص تغطي كل واحدة إحدى الفتن وكيفية النجاة منها، إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قوله تعالى: □ [الكهف: 28]. وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم كما ورد في قصة موسى عليه السلام والخضر، وفتنة القوة في قصة يأجوج ومأجوج، ثم بينت العواصم العامة من الفتن. وكذلك تصحيح العمل والنية والإخلاص فيه، والتمسك بالقرآن، وترك الغيب لله وحده والثقة فيه والاستسلام لحكمه وحكمته. والأخذ بالأسباب والتحرك بها وترك السلبية والسكون، والدعوة إلى دين الله مع الصحبة الصالحة وترك القعود.

- ومن الأمثلة سورة (آل عمران): سميت سورة آل عمران لإيراد قصة أسرة عمران، وإعداد مريم التي نذرتها أمها للعبادة" وتسخير الله الرّزق لها في المحراب واصطفائها وتفضيلها على نساء عالمي زمانها ، وتبشيرها بإنجاب عيسى صاحب المعجزات. والمقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الأقبال عليه والمسارعة اليه وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والإنفاق

والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة . هذا ما كان ظهر لي أولاً ، وأحسن منه أن نخص القصد الأول وهو التوحيد بالقصد فيها فإن الأمرين الآخرين يرجعان إليه.

النتائج:

- إثبات وجود مقاصد خاصة لكل سورة: لكل سورة من سور القرآن الكريم مقصد خاص بها، يتكامل مع المقاصد الكلية للقرآن. ويظهر هذا المقصد من خلال تحليل الفواتح والخواتم، والتكرار، وسياق الآيات.
- التفسير المقاصدي هو أداة لتجديد علم التفسير: التفسير المقاصدي يعتبر منهجًا مهمًا لتجديد مناهج علم التفسير، إذ يتجاوز الاهتمام بالتفاصيل إلى ربط النصوص برؤية كلية وشاملة، مما يسهم في فهم أعمق للغايات التشريعية والأخلاقية في القرآن.
- براعة الاستهلال في الفواتح والخواتم: فواتح السور وخواتمها تلعب دورًا بارزًا في الكشف عن مقاصد السور، حيث تتناسب بدايات السور مع محتواها وتلخص الخواتم المقصد الرئيسي للسورة، مما يشير إلى براعة استهلال وإغلاق بلاغي يعكس مقصود السورة.
- التكرار في القرآن ليس عبثيًا: التكرار له دور رئيسي في التأكيد على المعاني والمقاصد، ويبرز أهمية موضوع معين ضمن السورة، ويعزز الهدف الرئيسي للسورة في ذهن القارئ.
- أهمية السياق في فهم مقاصد السور: تحديد مقاصد السور يتطلب النظر إلى السياق العام للسورة، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، مما يجعل التفسير المقاصدي أداة فعالة لربط الآيات ببعضها ضمن بناء متكامل.
- دلالة أسماء السور على مقاصدها: أسماء السور لها دلالة قوية على أهدافها وموضوعاتها، وهي إحدى الوسائل التي تساعد المفسرين على اكتشاف مقاصد السور.
- الحاجة إلى مزيد من الدراسات حول مقاصد السور: البحث كشف عن قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع، مما يدعو إلى الاهتمام بتطوير منهجية واضحة للكشف عن مقاصد السور في الدراسات التفسيرية المستقبلية.

التوصيات:

- تعزيز منهج التفسير المقاصدي في الدراسات القرآنية: يوصي البحث بضرورة تبني منهج التفسير المقاصدي في تحليل وفهم السور القرآنية، مما يسهم في إظهار التكامل بين الأهداف الجزئية والمقاصد الكلية للقرآن، ويعزز فهم النصوص القرآنية بشكل أعمق وأشمل.
- تشجيع المفسرين على استنباط المقاصد من خلال قواعد منهجية: يُنصح المفسرون والباحثون بالاعتماد على القواعد التي ذكرها البحث، مثل فواتح السور وخواتمها، والتكرار، وأسباب النزول، وأسماء السور، وربطها مع المقاصد الكلية، مما يجعل الكشف عن هذه المقاصد أكثر دقة واتساقًا.
- إعداد دراسات تطبيقية لمقاصد السور: يوصي الباحث بإجراء دراسات تطبيقية على سور معينة من القرآن، لتوضيح كيفية استنباط المقاصد باستخدام القواعد المنهجية التي تم طرحها في هذا البحث، مع أمثلة عملية لتسهيل استخدامها في الدراسات المستقبلية.
- إنشاء موسوعة شاملة لمقاصد السور القرآنية: يقترح البحث إنشاء موسوعة أو معجم متخصص يتناول مقاصد جميع سور القرآن الكريم، مع توثيق هذه المقاصد وفق منهجية واضحة، ليسهل على الدارسين والباحثين الرجوع إليها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد، فإن هذا البحث قد تناول موضوع "القواعد والضوابط في معرفة مقاصد السور القرآنية"، وهو من المواضيع الأساسية في علم التفسير، التي تسعى لتوضيح المنهجية السليمة لاستخراج مقاصد السور القرآنية، بما يعزز من فهم النصوص القرآنية ويضفي عليها أبعادًا جديدة تتجاوز الاهتمام بالجزئيات والتفاصيل إلى رؤية شاملة تربط بين الأهداف الكلية والغايات العميقة للقرآن الكريم.

لقد أظهر البحث أهمية التفسير المقاصدي كوسيلة لتجديد علم التفسير، حيث يمكن من خلاله تحقيق الفهم الصحيح للسور، وذلك بالاعتماد على قواعد واضحة مثل فواتح السور، وخواتمها، والتكرار، والتناسب، وأسباب النزول، وأسماء السور، وغيرها من القواعد التي تسهم في تحقيق هذا الهدف. كما بينت الدراسة أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مقصدًا خاصًا بها، يتكامل مع المقاصد الكلية للقرآن، مما يجعل دراسة مقاصد السور أداة فعالة لفهم مراد الله من تنزيل هذه الآيات المباركة.

وفي ختام هذا البحث، يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بمقاصد السور القرآنية وتبني منهج التفسير المقاصدي في الدراسات القرآنية الحديثة، حيث يمكن أن يكون هذا المنهج أساسًا لتطوير المناهج التفسيرية، وإثراء الدراسات الشرعية بمزيد من الفهم العميق والمتكامل للقرآن الكريم. نسأل الله أن يوفق الباحثين

والمهتمين بهذا المجال لما فيه خدمة للقرآن الكريم، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء.

قائمة المصادر:

1- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، ود. أحمد النجولي الجمل. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1422،1هـ - 2001م.

2- البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، أحمد بن عجيبة الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1423هـ- 2002م .

3- البرهان في علوم القرآن، بدرالدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ - 1957م .

4- التفسير الواضح، الدكتور محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.

5- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، مجموعة من العلماء، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1.

6- التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى محمد حميدة، المكتبة الشاملة، 1428هـ/ 2007م.

7- أسباب النزول، الواحدي، دار الإصلاح- الدمام، ط2، 1413هـ- 1992م.

8- أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ.

9- أسرار ترتيب القرآن، جلال السيوطي، المجلد 1، 2002.

10- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8 - 1425هـ - 2005م .

11- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

12- الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، ط4 مزيدة ومنقحة ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

13- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (ت: 634هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1420هـ

914- الإكسير في علم التفسير، الطوفي البغدادي، بدون ذكر للطبعة.

15- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط1، 1427هـ.

16- الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» دار الصحوة – القاهرة ط2 – 1407 هـ – 1986م.

17- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ج١ و ج٢ .

18- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (503/1)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري مؤسسة الرسالة – بيروت.

19- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.

20- المدهش، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ – 1985م

21- المطالع والمقاطع وأثرها في الكشف عن مقاصد السور، د. سعيد بوعصاب، مقال منشور على موقع جريدة المحجة على شبكة الانترنت.

22- المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى، البقاعي، 2/ 466، التماسك النصي في سورة الزخرف، عبداللطيف السعيد يوسف، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة بورسعيد، عدد: 8، 2016م

23- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، د. محمد علي الحسن، ط موسسة الرسالة 24- بيروت، ط1، 1421 هـ – 2000 م.

25- المناسبات في القرآن الكريم، سارة عبدالرحيم، جامعة سوهاج، عدد 52، الجزء 2، 2020.

26- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور أل حم، هدى بنت دليجان بن عبدالله، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، عدد: 5، 2009م.

27- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ- 1997م.

28- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ، 1423 هـ – 2002م.

29- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار طيبة، السعودية، ط1، 1997م.

30- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، دار الجيل- بيروت .

31- النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم، 318هـ.

32- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

33- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

34- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية بدون سنة طبع.
35- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م
36- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ط1، 1946.
37- تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ .
38- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (ت: 1327هـ)، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1406هـ.
39- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م
40- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
41- جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م .
42- حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الطيبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ - 2013م .
43- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ-1974م.
44- خزانة الأدب وغاية الأرب، أبي بكر بن علي بن عبدالله ابن حجة الحموي، دراسة وتحقيق: د. كوكب الديار، دار صادر، بيروت، ط1، 2001.
45- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1413 هـ - 1992م .
46- دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ط12، 1424هـ - 2003م.
47- سراج المريدين في سبيل الدين، ابي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي، تخريج عبد الله التوراتي، نشر دار الحديث الكتانية، ج4.

48- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.
49- فضائل القرآن، باب تعهد القرآن ونسيانه مصنف عبدالرزاق، ج3، رقم 5988.
50- فواتح سور القرآن، د. حسين نصار، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
51- قطف الأزهار في كشف الأسرار، الجلال السيوطي، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطر.
52- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ .
53- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م.
54- مدخل إلى القرآن الكريم: محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، د.ت.
55- مسالك الكشف عن مقاصد السور القرآنية، د. رشيد الحمداوي مجلة الترتيل، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد الأول، رجب 1434هـ، (ص 143).
56- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط1، 1408 هـ - 1987م
57- مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة 34 العدد 115، 1422هـ/2002م.
58- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، (439/2)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420 هـ.
59- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب ، ط1، 1429 هـ - 2008م.
60- مفاتيح الغيب، فخرالدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر.
61- مقاصد السور القرآنية، شافي سلطان العجمي، عرض ودراسة، مركز البحوث الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مج (4)، ع (7) ، 2009 .
62- مقاييس اللغة، احمد ابن فارس، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.
63- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
64- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

65- موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربى – حلب، الطبعة: الأولى، 1422 هـ 2002م.

66- نظم الدرر في تناسب الايات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي البقاعي .

67- والصحاح، أبو نصر الفارابي، دار العلم للملايين –بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م .

البحوث المنشورة:

1- التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجا، وصفي عاشور أبو زيد، ورقة بحثية مقدمة إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية – في مؤتمرها الدولي بعنوان (فهم القرآن: بين النص والواقع) كلية أصول الدين، في الفترة 4-5 ديسمبر 2013.

2- مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، محمد عبد السلام حسن الحضيري، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (واقع وآفاق) جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 25-26من شهر 4 2010م.

3- أ.م.د. محمد سعيد حسين مرعي. "التناسب فى سور المفصَّل". مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، مجلد7، عدد 2، سنة2012، صفحات 1-32

4-خالده عمر سليمان. "مقامات التعريف والتنكير فى سورة الحاقه (دراسة تحليلية)". مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، 7، 3، 2012، 255-269

رسائل وأطاريح:

1- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير، ممدوح القحطاني رسالة ماجستير، الدار التونسية، تونس، 1984.

(1) مقاصد السور القرآنية، العجمي، عرض ودراسة، مج (4)، ع (7)،2009.

(2) التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجا، أبو زيد، ديسمبر 2013.

(3) ينظر: جمهرة اللغة، الأزدي، (386/1). ومقاييس اللغة، لابن فارس، (470/4).

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، (9/7).

(5) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (386/4). وجمهرة اللغة، الأزدي، (722/2).

(6) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الحسن،1421 هـ - 2000 م (167/1)

(7) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (186/1).

(8) المصدر السابق.

(9) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (350/1).

(10) التحرير والتنوير، بن عاشور، (121/1).

(11) موسوعة علوم القرآن، منصور، 1422 هـ 2002م (260/1).

(12) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 1376هـ – 1957م (165/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (361/3). وفواتح سور القرآن، نصار، ص: (191).

(13) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (165/1).

(14) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (165).

(15) النثر الفني في القرن الرابع، مبارك، (47/1).

(16) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (165/1– 178).

(17) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (178/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (361/3).

(18) ينظر: والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (178/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (361/3).

(19) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (179/1)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (362/3).

(20) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (179/1)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (362/3).

(21) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (180/1)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (362/3).

(22) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (180/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (362/3).

(23) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (180/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (362/3).

(24) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (180/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (363/3).

(25) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (180/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (363/3).

(26) ينظر: حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الطيبي، 1434هـ – 2013م (621/1). وخزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دراسة وتحقيق: د. كوكب الديار، 2001، (30/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (363/3).

(27) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، الحنفي المكيّ، 1427هـ .(282/6).

(28) جامع البيان في تأويل القرآن، الآملي، أبو جعفر الطبري، 1420 هـ – 2000 م (1/ 215).

(29) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، 1408 هـ – 1987م: 193/2.

(30) المرجع السابق: 162/2.

(31) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، ، ط3، 1406هـ، ص: 309/1.

(32) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، (614/1)، 1429 هـ – 2008م.

(33) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (182/1).

(34) السابق (366/3).

(35) بديع القرآن، الإصبع المصري، (346/2).

(36) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (182/1).

(37) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (183/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (366/3).

(38) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (183/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (366/3).

(39) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (183/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (366/3).

(40) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (183/1). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (366/3).

(41) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (185/1).

(42) الفوز الكبير في أصول التفسير، «ولي الله الدهلوي» – 1407 هـ – 1986م (143/1).
(43) ويعبر عنه ابن عاشور برد العجز على الصدر، ينظر التحرير والتنوير: 15 / 246، و16 / 349، و18 / 136، و21 / 248، و22 /344، و25 / 322، و28 / 127، و29 / 108، و368، و30 / 59 و185.
(44) البحر المحيط، بأبي حيان الأندلسي. محمد معوض، ط1422،1هـ – 2001م، 378/2.

(45) قطف الأزهار في كشف الأسرار، السيوطي، (108/2).
(46) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي: 149/1.
(47) هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي، ولد سنة 1864م، في قرية"غيرها"، من قرى مديرية "أعظم كره" بشبه القارة الهندية، فحفظ القرآن صغيرا، وبرع في الفارسية ثم إشتغل بالعربية وعلومها على يد ابن عمته العلامة شبلي النعماني (ت 1914م)، كما أخذ العلم على أبي الحسنات اللكنوي (ت1887م) وغيره من علماء عصره، ثم عرج على تعلم اللغة الإنجليزية وهو ابن عشرين سنة، والتحق بكلية "عليكره الإسلامية، وحصل على الليسانس في الفلسفة الحديثة من جامعة "الله آباد"، ثم عين معلما للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي، فدرس فيها سنين، وكتب وألف وقرض الشعر، ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودراسته، فقضى فيه بقية حياته حتى توفي سنة 1930م، في مدينة "متهورا".

(48) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، 54.

(49) صدر بتحقيق د. محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة الملكية، ط1، مكة المكرمة، 1423هـ – 2002م.

(50) هو علامة مجدد، متخصص في الدراسات القرآنية، ولد سنة 1894م بإحدى قرى مصر لأسرة معروفة بالعلم، حيث كان والده مشرفا على فرع الأزهر بالإسكندرية، وقد تخرج – المترجم – من الأزهر عام 1916، ثم عين فيه أستاذا للتفسير بكلية أصول الدين، ونال شهادة الدكتوراة بجامعة السوربون بفرنسا سنة 1947، بمرتبة الشرف الأولى، له دراسات شتى، أهمها كتابه "النبأ العظيم"، و"دستور الأخلاق في القرآن"، (ت 1970هـ).

(51) مدخل إلى القرآن الكريم: دراز، د.ت، 119.

(52) المطالع والمقاطع وأثرها في الكشف عن مقاصد السور، بوعصاب، مقال منشور على موقع جريدة المحجة على شبكة الانترنت. (3) نظم الدرر في تناسب الايات والسور، البقاعي، 138/17.

(54) تفسير المراغي، المراغي، ، 1946، .24/ 99.
(55) المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها في سور أل حم، دليجان بن عبدالله، عدد: 5، 2009م، ص:75–76.
(56) مفاتيح الغيب، للرازي، 27/ 535.
(57) التفسير الواضح، حجازي، 1413هـ (156/2).
(58) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (135/5). والصحاح، الفارابي، 1407هـ – 1987م. (804/2)
(59) الإكسير في علم التفسير، البغدادي، (269/1).
(60) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (10/3).
(61) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير،1420هـ، (146/2).
(62) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، 1413 هـ – 1992م، (322/1).
(63) مجموع الفتاوى المؤلف: الحراني، 1416هـ/1995م، (167/19).

(64) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (9/3). والمدهش، لابن الجوزي، 1405هـ – 1985م، (ص: 37).

(65) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (230/3). والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، (25/3).

ولقد حاول ثلة من أصحاب الأهواء المغرضين الطعن في القرآن الكريم والنيل من بلاغته وإعجازه؛ وذلك بإثارة الشبه حول ظاهرة التكرار في القصص القرآني الحكيم؛ حيث ذهبوا إلى أنَّ التكرار عجز بياني يقدح في الفصاحة، ويبعث على الملل والسآمة. فالتكرار الوارد في البيان القرآني الحكيم عمومًا، وفي القصص القرآني على وجه الخصوص له وظائف بلاغية، وأغراض تربوية، لا تؤدى ولا تتم بدونه، ولا يمكن الاستغناء عنه حيث جاء؛ ولو غاب التكرار عن البيان القرآني، لجاء الاعتراض من جهة خلوِّه من هذا الأسلوب البلاغي المعهود في لسان العرب، ومن أمعن النظر وتفحَّص التكرار البليغ المحكم في القصص القرآني الحكيم؛ يجد في ألفاظه زيادةً ونقصانًا، وتقديمًا وتأخيرًا، وإجمالًا وتفصيلًا، في مواضع مختلفة حيث جاء بأسلوب غير الأسلوب الآخر. وقد ألقى الضوء على الأغراض البلاغية للتكرار العلامة ابن حجة الحموي، فقال: "إنَّ التكرار، هو أن يكرِّرَ المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف، أو المدح، أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد، أو الإنكار، أو التوبيخ، أو الاستبعاد، أو الغرض من الأغراض". (خزانة الأدب وغاية الأرب،1/ 361، ط. دار ومكتبة الهلال.

وقد تصدَّى الإمام الرازي للرد على من طعن في القرآن الكريم من جهة التكرار، بما يدل على فساد طعنهم وسخافة عقولهم وقلة تأملهم؛ فقال: "اعلم، أنَّ عادة الفصحاء جارية بأنهم يكررون القصة الواحدة في مواضع مختلفة لأغراض مختلفة يتجدد في المواضع؛ وذلك من الفضائل لا من المعايب، وإنما يعاب التكرار، إذا كان في الموضع الواحد. والله تعالى إنَّما أنزل القرآن على رسوله في ثلاثٍ وعشرين سنة، حالًا بعد حال، وقد علم من حاله أنه كان يضيق صدره لما يناله من الكفار، وكان تعالى يسليه بما ينزله عليه من أقاصيص من تقدم من الأنبياء عليهم السلام، ويعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح. ولهذا قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]. وأيضًا، فلأنَّ ظهور الفصاحة ومزيتها في القصة الواحدة إذا أعيدت أبلغ منها في القصص المتغايرة؛ فهذا هو الفائدة فيما تكرَّر في كتاب الله تعالى من قصة موسى، وفرعون، وسائر الأنبياء". (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، 1/ 246، ط. دار صادر).

كذلك قال الإمام السيوطي: «وأقوى ما يجاب به: أنَّ قصص الأنبياء إنما كُرِّرت؛ لأنَّ المقصود بها إفادة إهلاك من كَذَّبوا رسلهم، والحاجةُ داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول ص، فلما كذّبوا أنزلت قصة مُنْذرة بحلول العذاب، كما حلَّ على المكذبين، ولهذا قال تعالى في آيات: ﴿فقد مضَتْ سنَّة الأولين﴾؛ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾». (معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1/ 263، 264، ط. دار الكتب العلمية).

يقول الدكتور محمد خلف الله في كتابه " الفن القصصي في القرآن الكريم " إلي أن عجز الفكر الإسلامي عن فهم الأسرار التي من أجلها كان التكرار في قصص القرآن يرجع إلى اعتماد المذهب التاريخي في فهمه ولو أنه أقام هذا الفهم علي أساس فني أو أدبي لما وقف موقف الحيرة ولما عد القصص القرآني من المتشابه ويري كذلك أن العمل الفني والأدبي في القصص القرآني يتمثل في تخليص العناصر التاريخية – الأحداث والأشخاص – من معانيها التاريخية، وفي تحميل هذه العناصر بالعواطف الإنسانية أو بالمعاني الدينية والخلقية كما يجعل الأديب الفنان من شخصية تاريخية معروفة نقطة لانطلاق خياله وأفكاره أو محورا لفنه وابتكاره .(الفن القصصي في القرآن الكريم ، أ.د محمد خلف الله ، ص:32 وما بعدها).

(66) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (424/3). البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (10/3).

(67) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (11/3). والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (424/3). وزاد المسير، لابن الجوزي، (208/4).

(68) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (14/3). والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (224/3).

(69) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (17/3). يراجع ايضا خالده عمر سليمان. "مقامات التعريف والتنكير فى سورة الحاقه (دراسة تحليلية)". مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، 7، 3، 2012، 255-269، ص 8

(70) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (17/3).

(71) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ط8-1425هـ- 2005م.ص:179.

(72) مسالك الكشف عن مقاصد السور القرآنية، الحمداوي، العدد الأول، رجب 1434هـ، ص: 143.

(73) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (212/3).

(74) ينظر: التحرير والتنوير، بن عاشور، (59/16).

(75) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، (329/1).

(76) المرجع السابق:" (331/1).

(77) معجم مقاييس اللغة أحمد ابن فارس، ج5/ ص: 423، 424.

(78) لسان العرب، ابن منظور، ج14 / ص: 119.

(79) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ص:35.

(80) سراج المريدين في سبيل الدين، ابن العربي، ج 4، ص: 144.

(81) نظم الدرر في تناسب الايات والسور، البقاعي، ص:6

(82) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دراز، 1997م، ص:147.

(83) مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، 2005، ص:58.

(84) النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم، 318هـ.

(85) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بن عمر الزمخشري،ج١،ص:٤٩٧،وج٢،ص:١٥٣

(86) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص: 62/6.

(87) مقاصد القرآن الكلية وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، الحضيري، 25-26 /4 2010م

(88) المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير، القحطاني، ص:43.

(89) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، 370/3.

(90) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، 370/3.

(91) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص:37.

(4) المناسبات في القرآن الكريم، عبدالرحيم، ، عدد 52، الجزء 2، 2020، ص: 173-184.

(93) فضائل القرآن، باب تعهد القرآن ونسيانه، عبدالرزاق، ج3، رقم 5988، ص:365.

(94) المرجع السابق، ص:365.

(95) أسرار ترتيب القرآن، جلال السيوطي، المجلد 1، 2002، ص:40

(96) مدخل إلى القرآن الكريم، دراز، ص: 119

(97) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص: 166.

(98) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 1420هـ -2000م، ص: 709.

(99) فتح القدير، الشوكاني اليمني ، 1414هـ، 4/ 422.

(100) تفسير القرآن العظيم، بن كثير القرشي، 1420هـ - 1999م، 7/ 84.

(101) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي423/2.

(102) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 24/ 229، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، مجموعة من العلماء، 24/ 78.

(103) الأصلان في علوم القرآن، القيعي، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م،ص:243.

(104) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 8/ 674.

(105) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، 9/ 723.

(106) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، 1/ 418.

(107) المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى، البقاعي، 2/ 466، التماسك النصي في سورة الزخرف، يوسف، عدد: 8، 2016م، ص:223-224.

(108) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الشافعي، 1420 هـ، 202/7.

(109) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، 9/ 781- 782.

(110) التناسب في سورة البقرة، حميدة، 1428هـ/ 2007م (5/ 1) ويراجع ايضا :- مرعي. "التناسب فى سور المفصَّل". مجلد7، عدد 2، سنة2012، صفحات 1-32، ص 6

(111) ينظر: البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، الفاسي، 1423هـ- 2002م، (43/5).

(112) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (503/1).

(113)تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (478/30).

(114) دراسات في علوم القرآن الكريم، الرومي، 1424هـ - 2003م. (136/1)

(115) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، علي الحسن، (36/1)

(116) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (106/1).

(117) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، 1394هـ- 1974م (67/1).

(118) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (47/1).

(119) ينظر: أسباب النزول، الواحدي، 1413هـ- 1992م (ص 140).

(120) الموافقات، الشاطبي، دار ابن عفان، 1417هـ- 1997م (144/4).

(121) مع الامام أبي إسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره، الأسمري، السنة 34 العدد 115، 1422هـ/2002م، ص:46.

(122)منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، أحمد صقر، ط1،1422هـ- 2001م، ص:83.

(123) أسباب نزول القرآن، النيسابوري، الشافعي ، 1411هـ، ص:496.

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: 634هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ، 216/1.

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 580/30.

(3) أسباب النزول، النيسابوري، ص:466.

(127) المرجع السابق ص:466.

(128) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الشافعي، (439/2).

(129) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 574/30.

(130) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي، برقم (5002)، (187/6). ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه **ب**، برقم (2463)، (1913/2). واللفظ للبخاري.

(131) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (45)، (18/1). ومسلم، كتاب: التفسير، برقم (3017)، (2313/4). واللفظ لمسلم.

(132) تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ (234/3).

(133) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، 1423 هـ - 2002 م (588/1).

(134) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي ١/١٤٩.

(135) المرجع السابق ١/٢٠٩.

(136) البرهان في علوم لقرآن، الزركشي ١/٢٧٠، ٠٢٧١

(137) رواه البخاري في صحيحه ٦/٩٤، في كتاب التفسير، باب سورة إذا جاء نصر الله والفتح.

(138) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم (809)، (555/1).

Rules or controls for knowing the objectives of the Quranic surahs

Omid Muhammad Ali Al-Qardaghi1
PhD student at the Faculty of Education - Koya University
Prof. Dr. Jamal Muhammad Bajalan2
Faculty of Education - Koya University

Abstract:

Praise be to Allah, whose grace brings about righteous deeds**.** This research addresses the topic of "The Principles and Standards for Understanding the Objectives of the Quranic Surahs," which is a fundamental issue in the field of Tafsir (interpretation). It aims to clarify a sound methodology for extracting the objectives of the Quranic surahs, enhancing the understanding of Quranic texts and providing new dimensions that go beyond a mere focus on details and specifics. Instead, it promotes a comprehensive vision that connects the overarching goals and profound purposes of the Holy Quran.

The study highlights the significance of the purposive interpretation as a means to renew the science of Tafsir. This approach allows for a correct understanding of the surahs by relying on clear principles, such as the opening and closing verses of the surahs, repetition, coherence, reasons for revelation, names of the surahs, and other rules that contribute to this objective. Furthermore, the research indicates that each surah has its unique purpose, which complements

the broader objectives of the Quran. This makes the study of the surahs' purposes an effective tool for grasping God's intent behind the revelation of these blessed verses.

In conclusion, the researcher recommends a greater focus on the objectives of the Quranic surahs and the adoption of the purposive interpretive method in contemporary Quranic studies. This approach could serve as a foundation for developing interpretive curricula and enriching Islamic studies with a deeper and more integrated understanding of the Holy Quran. We ask Allah to grant success to researchers and those interested in this field in serving the Quran, and to make this work sincerely for His noble face, for He is All-Hearing, Responsive to supplication.